سلسلة حكايات العالم الثالث
مجموعة قصصية
محكمة الغربان
محمد سيد
دارك

(طارد الشيـاطين)

1

«شقة ياسين»

فتح يس باب شقته، المتـواضعة في أحد أحياء القـاهرة، خلع حذاءه المليء بالطين من أثـر الأمطار وهو يُخرج هاتفه الذي يصدر ذبذبات من أحد جيوب بنطاله، نظر في اسم المتصل ثم رمى الهاتف بعيدًا وعينه تحدق في برواز قديم موضوع في ركن من أركان الردهة، البرواز العتيق فيه صورة لسيدة تحمل طفلًا صغيرًا لم يتجاوز العامين وبجانبها طفلها الأكبر، وعلى وجوههم ارتسمت ابتسامة بريئة. ترجل بخطوات بطيئة ونظره ثابت على تلك الصورة، شعر خده بدمعة ساخنة تنزل من عينه، فأدرك الأمر بسرعة وقال موجهًا كلامه إلى أمه:

- الرجـال لا تبكي مطلقًا، تلك هي عباراتك يا أمي ولكن للأسـف، أنا فشلت.

أعطى البرواز ظهره متجهًا لمكتبه، جلس وفتح حاسوبه ثم ضغط على الموقع الخاص به، عينه ظلت تجول في مئـات الرسـائل المعروضة أمامه.

"أستـاذ يس، أرجو مساعدتك.."

"أستـاذ طه ابني مُصـاب بمس شيطاني و..."

"أستـاذ طه أنا اسمي نجـوى من..."

"أنت الأمل لعائلتي بعد مشيئة الله يا أستاذ يس أنا زوجتي..."

" أستاذ يس هذه ثاني رسـالة أرسلها لك على ذلك الموقع..."

"أستـاذ يس...."

تنهد ثم اخرج ولاعته واشعل سيجارته وهو يفكر في شيء واحد فقط: إغلاق موقع "طارد الشياطين". وضع رسالة مثبتة وهو يفكر كيف يبدأ تلك الرسالة.. هل يحكي فشله؟ أم قصة حياته مصحوبة بنهاية تبرر غلقه للموقع؟، وأثناء اندماجه وتفكيره سمع صوتًا لضحكات صادرة من غُرفة طه، فتبدلت ملامحه وعينه باتت تشع بالغضب..

- انقلبت الآية الآن، ومن الواضح أنه هو من يبحث عني ..

***

13 /12/ 2010

قبل 5 سنوات

كان الجو مُمطرًا والسماء غائمة وإلى الباب يقف شخصان، أحدهما يرتدي بالطو صوفيًا ثقيلًا وقبعة "كاوبوي" أما الآخر يرتدي "جاكيت" جلديًا أسود ويمسك بيده شمسية، وبيده الأخرى يرن جرس الباب، بعد ثوانٍ معدودة فتحت الباب سيدة في أواخر الثلاثينيات من عمرها، وقبل بداية الكلام ضرب السماء صوت الرعد..

- مساء الخير.. هل هذا منزل الأستاذ هشام زكريا؟

جاوبت السيدة على عجلة من أمرها:

- أستاذ يس، صحيح؟

أومأ الرجل فتابعت كلامها:

- نعم.. نعم بالضبط، تفضلوا نحن في انتظاركما.

دخل الشخصان واستقبلهما (هشام) بفرحة عارمة، وهو يرحب بصاحب "الجاكيت" الجلدي ترحيبًا حارًا بينما الشخص الثاني صاحب القبعة كانت عينه تطوف في أركان البيت يستكشف المكان، غير مهتم بترحيب هشام. بيت كبير مكون من دورين، مطبخ مكشوف

ويتضح من مكانه أنه يوصل إلى "بدروم"، أما في منتصف الردهة سلم طويل في نهايته غرف النوم في الدور العلوي، كُل هذا لمحه صاحب القبعة في أجزاء بسيطة من الثواني حتى لا يلاحظ أحدٌ تصرفه الغريب.

أدخل هشام ضيوفه لغرفة الاستقبال وجلسوا وابتدأ الحديث:

- لقد زاد البيت نوزًا من زيارتكما.. ولكن قبل بداية الحديث ماذا تشربان؟

تكلم (طه) صاحب الجاكيت الجلدي:

- لا داعي لذلك.. شكزًا جذًا.

أما صاحب القبعة يس تكلم وهو يتأمل في جدران الصالون بنظرات لاحظها كُل المتواجدين:

- شاي.. أريد شايًا مضبوطًا.

بعد دقائق معدودة بدأ صاحب البيت هشام يسرد إليهما التفاصيل التي مروا بها في هذا البيت:

- لا أخفيكما سرًا، فكرت كثيزًا أن أترك هذا البيت وأغادر، حتى وجدت الموقع الخاص بكما والمتخصص بطرد الشياطين، طوال حياتي مقتنع أن كُل ما يدور من قصص وأفلام عن العالم الآخر عبارة عن تخاريف وأساطير. طوال حياتي لم أصدق بوجود الجن والأشباح حتى خطت قدمي هذا البيت.

قطع حديثه صوتُ خطوات آتية من السلم، كان ابنه (علي)، شاور هشام بيده ليقترب ولده، دخل الصبي وجلس بجانبه واندمج وسط الحديث الذي أكمله أبوه:

- ابني علي يرى كائنات غريبة في كل أرجاء البيت وهذا ما أثر على حالته النفسية والدراسية وجعلنا جميعًا نشعر بالاكتئاب والعزلة.

دخلت زوجة هشام ووضعت الشاي أمامهما وانضمت للجلسة. وبعد دقائق من سماع سرد الأحداث الغريبة التي يرويها صاحب البيت، قاطعه يس ووقف من مجلسه:

- معذرة، هل لي بجولة سريعة في البيت؟ وأستأذنكم أن تشيروا إليّ على تلك الأماكن التي تشعرون فيها بهمس وخيالات..

قام طه هو الآخر وأمسك بشنطته الجلدية وأخرج منها جهاز الرصد، بدوأ جميعًا يتجولوا في أنحاء البيت برفقة هشام والذي ظل يراقب نظرات يس وطه وهما يؤكدان أن هناك شيئًا غريبًا في الغرفة العلوية. بعد نصف ساعة تقريبًا أنهيا الجولة وتكلم يس:

- أستاذ هشام، الموضوع إن شاء الله بسيط، ولكن سأحتاج منك أنت والأسرة الكريمة أن تقضوا الليلة خارج البيت.

وافق هشام. وبعد ساعة أصبح طه ويس في المنزل وحدهما، وبمجرد خروج الأسرة أخذ طه نفسًا عميقًا وبدأ يوصل جهازه الخاص "إم إم أف" الذي يحدد الموجات الكهرومغناطيسية، أما يس فظلّ يركب مجسات في أركان الغرف و"كاميرات" بطيئة الحركة، فوجّه طه كلامه له:

- هل سنحتاج كل هذه المعدات حقًّا؟ الموضوع أبسط من هذا يا يس..

أخذ يس نفسًا من سيجارته وهو يبعثر دخانها في الهواء

- الاحتياط دائمًا واجب.

قالها يس وهو يضبط عداد الوقت على ربع ساعة.

بدأ الأخوان يطوفان في أرجاء البيت بـ"كاميرا" غريبة نوعًا ما، حتى لمح طه آثار أقدام في غرفة الطفل علي، فأشار بالهمس إلى يس:

- أعتقد أنه هنا.

دخلا الغرفة وأطفآ أنوارها ثم سلط يس كشافًا لأشعة فوق بنفسجية ليظهر لهم في أحد أركان الغرفة علي ابن صاحب البيت، كان يرمقهم بنظرات الغضب. فابتسم طه قائلًا:

- هل نسيت وأنت تتشكل على هيئة الطفل أن تضيف ذراعه؟ هاهاها المعذرة أنا من نسيت أنكم غير قادرين أن تتشكلوا في الصورة الحقيقية.

ركض الطفل، فلحق به طه وعيناه على "الكاميرا" حتى لا يفلت منه ويغيب عن بصره، اتجه الطفل للبدروم أسفل المطبخ ويتبعه الأخوان، بدآ في البحث عنه حتى وجداه ضامًا يده على قدمه مستندًا على حائط في ركن الغرفة، اقترب منه طه قائلًا:

- تريث.. لا تخف، أنا لن آؤذيك ولكن أجبني لماذا أنت هنا؟

انضم يس إلى طه بعد أن أغلق باب البدروم وهم يسمعون صوتًا أجش في الغرفة آتيًا من خلفهم:

- ليست مشكلتك..

وبحركة سريعة سلط (يس) كشافه وراء ظهره ليتبعه طه "بالكاميرا"، ليلاحظوا كائنًا غريب الوصف يختفي تارة ويظهر مرة أخرى، تكلم الكائن بنفس صوته الأجش:

- أنا أعلم لماذا أنتم هنا.. وما تنوون فعله..

عقب يس على كلامه ضاحكًا:

- إذًا ما فائدة اختفائك؟ دعنا نرى بعضنا البعض..

تكلم الكائن بنبرة ثائرة:

- أنا أراك وأعلم كل ماضيك، والأفضل لك ألا تراني.

ردّ يس بثقة عارمة:

- افعل ما يحلو لك.. ولكن لا بُدَّ لك من معرفة شيء مهم،سواء ظهرت أم اختفيت، فأنا سأقوم بعملي.

- عملك، هاهاهاها

استهل الكائن بضحكات متقطعة وهو يكمل كلامه بسخط ونقم:

- وعملك هذا يعطي لك الحق في القضاء على كائنا مثلك تحلم بالعيش؟ هل حقًا تعتقد أنني سعيد بتلك الحياة؟.. هل تعتقد حقًا أنني فرح وأنا موجود في عالم غير عالمي؟

اختفى الصوت وظهر مرة أخرى وراء يس، فالتف بخفة وهو يسمع كلام الكائن:

- أنا في هذا العالم مجبرًا، أنا مُطارَد في عالمي، وهذا البيت ملجئي منذ عامين، هم الدخلاء وليس أنا.

- مطارد مِن مَن؟

زادت ضحكات الكائن:

- مطارَد من الذي تبحث عنه منذ سنوات عديدة.. مطارد من "تيليس".

تطلَّع طه إلى يس بنظرات تفكّره بالماضي اللعين ليمتعض ويسرح بخياله ثم يفيق على غضب كبير، ويبدأ طقوسه وسط صرخات آتية من كل حدب وصوب.

بعد ساعتين

يتنفس يس بصعوبة وبجانبه أخوه الذي قال:

- منذ زمن لم أرَك بهذه الحالة!

ابتلع يس ريقه بصعوبة وهو ينظر لطه قائلًا:

- اجمع الأغراض يا طه وسلم أصحاب المنزل المفاتيح.. وأخبرهم أن

كل شيء انتهى.

قالها وهو يرفع جسده من الأرض وينفض البالطو.. ثم غادر تاركًا طه في حيرة من أمره.

*****

2

"شقة ياسين"

اليوم ولأول مرة أدخل الشقة بمفردي وطه ليس معي، أشعر بالضعف والحسرة، أشعر أنني السبب في فقده، أنا من بحثت طيلة عمري على الانتقام، أنا من أردت طرد الشياطين من على وجه الأرض، ولكن اليوم ولأول مرة أشعر بالفشل.

نظرت حولي لتقع عيناي على برواز قديم، بداخله صورة لي ولأمي وهي تحمل أخي الصغير طـه، أخي الذي فشلت في حمايته، كُنت على وشك البكـاء ولكن أمسكت دموعي، وقررت من الآن أن أكف عما بدأته طيلة السنوات الماضية.. فأنا اليوم أعلن اعتزالي، اليوم سأغلق موقع "طارد الشياطين"، ومنذ اللحظة لا يوجد علاج بعلم "الوفق" سأعيش يس.. يس فقط، ولكن قبل أن أغادر أريد أن أقص عليكم السبب، سأترك القصة مثبتة على الموقع، ولكن هذه المرة سأسرد لكم قصتي.

كـانت قليلة جدًا الأشياء التي تثير اهتمامي منذ صغري، وهذا هو السبب الأهم لشغفي وفضولي في البحث عن كل ما هو غريب وخارج السرب والغوص في بحر الظلمات، فيقولون وراء كل قصة رجل شجاع مواقف جمة من الخوف والجبن دفعته أن يكون الشخص الذي هو عليه الآن، ومواقفي من صغري لا تُحصى ولا تُعد.

***

2 /11/ 1985

- والدك شيطـان. شيطان يا يس وناره أصابت كل أهل الكفر، ومن يصبرني على تلك الحياة هو أنت وأنتم، أنت وأخوك الصغير. المنزل الذي نقطن فيه الآن ليس ملكًا لنا بل ملك لهم. للشياطين، أراهم في كل ركن، وأريد إخبارك أنني من بلغت عن أبيك، وأنا من أخبرت العمدة أن ثروت سحر بنتك. لقد نسيت السجدة لله يا يس، نسيت السجدة لله يا ولدي، أعلم أنك صغير على هذا الكلام، ولكن الشيب الذي يغزو شعر رأسي ليس من العجز، شعري الأبيض هذا من الخوف.. خوف من كل ما يظهر لي ليلًا، خوف من كل ما يطرق في أذنيك بعد منتصف الليل وتركض لحضني..

سمع يس كلام أمه، والتي ظلت تبرِّر فعلتها وهي ممسكة بطفلها الرضيع طه، تدحرجت دموعه على خده فهرع من بيته وهو حافي القدمين، وكلام أمه يطوف في عقله طيلة فترة ركضه، يمر على بيـوت طينية حتى يقف أمام "شجرة التـوت" فيجد أباه مصلوبًا فيهـا، أمسك يس بمجموعة من الغفر.

- اتركوا ولدي..

قالها والده المصلوب والذي اشتد عليه الضعف والوهن، أكمل كلامه بإعياء شديد:

- ما بك؟.. ما بك يا عباس أستضرب ولدي؟ هل حقًا تظن أن هذه الأوصال والأحبال حول ذراعي ستمنعني منكم.. ستجعلني غير قادر على إيذائكم؟

تذكر الغفير (عباس) أفعالَ السـاحر (ثروت)، فترك ابنه على الفور، فأسرع الولد لأبيه وظلَ واقفًا وهو صامت:

- كيف حالك يا يس؟ هل اشتقت إليّ؟

- هل أنت شيطـان فعلًا يا والدي؟

قالها يس بشيء من الريبة.

- هاهاهاها.. هاهاهاها.. هاهاهاهاها.

انفجر الساحر ضاحكًا بضحكات متقطعة، ثم نظر لولده:

- عبارات أمك هذه صحيح؟ ولكن دعني أخبرك أن وصيتي الأخيرة لهم هي لعنة أمك للأبد يا يس..

***

"شقة ياسين"

كـانت آخر مرة أرى فيهـا والدي.. أشهر سـاحر في "كفرالكومي"، بعد موته مصلوبًا حرقوا جثته أمام أهل البلد، وتوغل بداخلي إحساس الخوف وعدم الأمـان، ومنذ دلك اليوم اتخذت حياتي منعطفًا آخر، وذلك لأن برغم موته إلا أن أتبـاعه لم يموتوا، الشيـاطين سكنت بيتنا، وبالاخص أمي.. أمي والتي عاشت أصعب مراحل حياتها مع ذلك الساحر واعتقدت أنها تخلصت منه، إلا أن موته كان بمثابة بداية لعنتها الحقيقية، تغيـرت ملامحها، صف أسنانها الأمامي لم يعد موجودًا، جروح وافرة في جسدها، وكل هذا بسبب "تيليس"..

تذكر انك حملت رواية محكمة الغربان حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والنادرة والجديدة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك.

مَن هو "تيليس"؟ نعم سأجيبك.. "تيليس" هو شيطـان أبي، أو بالأحرى هو كـان بمثابة خادم أبي، وهو من كـانت تنطق أمي باسمه في أواخر أيامها، تتمنى الموت كلما تذكره أو تراه أمامها، حتى ظهر في حيـاتنا

الشيخ صفوان كـان شيخًا جليلًا، تعلم في الأزهر الشريف، وعندما علم بحالة أمي، قرر أن يعالجها ولكنه فشل.. فكانت نهاية أمي مأسوية، فحرقت جسدها بـوابور الجاز.

ومنذ ذلك اليوم شعر الشيخ صفـوان بالندم ورق قلبهوقرر أن يتبنـانا أنا وأخي الصغيـر طه.

5 /9/ 1988

في غرفـة صغيـرة من الطـوب الطيني، وعلى الباب لافتة كبيـرة مكتـوب عليها "خيمة الشيخ صفـوان"، فيهـا مجموعة من الأشخـاص يتوسطهم الشيخ صفوان وهو يقول:

- الله هو المعافي بإذن الله، والحمد لله وبالاستعانة بالله الآنسة فاطمة اتعافت.

هلل الحضور وظلوا يكبرون بـاسم الله، وفي ظل شكر أهل الفتـاة للشيـخ صفوان تسلل يس باتجاهه وقال:

- هذه هي المرة الأولى التي أشعر بها بالألفـة واستعجبت نفسي حقًا فأنا لم أخف منهم يا سيدنا الشيخ.

ضحك الشيخ صفوان وهو يتحسس شعر يس برفق:

- لأن لا شيء يخيف فيهم يا يس، كلما شعرت ووثقت أنك أقوى منهم بالاستعانة بالله فستنتصر عليهم، ولهذا السبب صممت أن تحضر هذه الجلسة.

- وما هو علم الوفق ياسيدنا الشيخ؟

ابتسم الشيخ وهو يجيب عليه:

ــ يا بني هذا العلم عن دراسة طبائع الحروف وأسرارها وما يقابلها من أعداد، ولكل حرف تبعًا لهذا العلم وزن ورقم يقابله، والأرقام والأعداد تسمى بالوفق أي التوفيق بين الحروف والأرقام وبين الكلمات

وأوزانها. استفاد منها الإنسان على مَر الزمان فالكون منظم بدقة وكل شيء يتشكل ويدور فيه بمقدارٍ تحدده الأرقام التي قد يحمل بعض منها قوة سحرية تبعًا لما تعنيه، ولكن دعني أخبرك يا يس أن هذا عِلمٌ باطني لا يسهل الاشتغال به إلا لمن منح الحكمة والقبول من الله عز وجل.

أوما يس برأسه وهو يتعلم كل شيء من الشيخ صفوان..

***

"شقة ياسين"

بدأت أتعلم كل حرف من الشيخ صفوان، ازدادت محبتي في قلبه بقدر محبته لـ (جلال) ولده، وبفضل مهارتي ذاع صيتي واسمي في القرى المجاورة، وأصبحت أعالج الناس من السحر، حتى قررت أن أترك القرية وأذعم لبنت المعز "القاهرة" وهذا بسبب طه ومجموعه الكبير في الثانوية العامة والذي دفعني أن أنقل معه ليدرس الحاسبات والمعلومات، ولا أخفيكم سرًا فحياة القرية لم تعد تروق لي، أجرت شقة في القاهرة وبحثت عن عمل حتى وجدت نفسي مندوب مبعيات لإحدى الشركات، أجول بمنتجات من الصباح للعشاء، وبعد سنة من هذا الحال، رجعت للبيت وأنا منهك لأجد طه ينتظرني بشغف..

***

8 /4/ 2009

- صنعت لك كوبًا ساخنًا من القهوة.

ابتسم يس وهو ناظر إليه.

- لقد وصلت مبكرًا اليوم.. لعل المانع خيرًا.

- لقد وصلت باكرًا لأن لدي لك مفاجأة ولكن قبل معرفتهاسأطرح عليك سؤالًا؟ لماذا تركت كل شيء بتلك الطريقة؟

- تركت ماذا؟

أخذ طه نفسًا عميقًا وقال:

- تركت ما بدأته منذ صغرك يا يس، نسيت أمك؟ نسيت معاناتها.. نسيت آخر كلماتها؟

هزت كلمات طه مشاعر أخيه، فاندفع قائلًا:

- لا لم أنسَ يا طه، ولكني أنا الآن لم أعد في القرية.. أنا في الحضر يا طه.

- وليكن؟.. هل هم اختفوا من حولنا؟ أم موجودون في كل مكان؟

- وما عساني أن أفعل؟

قالها يس مصحوبة بيأس شديد

- نعم. هذه هي الجملة التي تمنيت سماعها يا أخي؟ أريدك فقط أن تسلم رأسك لي، فقد أنشاءت منتدى على الإنترنت اسمه "طارد الشياطين" كل شيء الآن بالتكنولوجيا، الناس ستكتب ما تشعر به، ستكتب كل شيء غريب.. ومن هنا سيبدأ عملك.

- وكيف؟ كيف سأقنع الناس أنني اعالج بطرق ربانية الموضوع ليس سهلًا بهذه الطريقة يا طه.. كيف سأقنع الناس بدون نعتي بالنصاب؟

- دعك أنت من طريقة الإقناع اترك لي هذا؟ الموضوع أسهل من مما تظن.. الغريق يتعلق بقشــة، ولن تخسر شيئًا من تجربتك.

كان كلام طه مصدر الهام لأخيه والذي شعر فعلًا أنهنسي نفسه، نسي هدفه، ولكنه لم ينسَ أبدًا "تيليس"، بدأ يس وطه برسائل تعريفية على الموقع ونشروه في كل المنتديات الأخرى، حتى ذاع صيت الموقع في محركات البحث، طريقة علاجه لم يوشِ بسرها ومع كل شيطان يهزمه يس يبحث عن "تيليس"، حتى علم أنه ملك كبير في عالمهم، طريقة العمل أصبحت مختلفة لطه ويس لم يعدوا يستجيبوا

لأي حالة، مع الأسف الشهرة أيضًا لها أضرار، فأصبحوا ينتقون الحالات التي تزيد من تضخيمهم في الصحافة والإعلام.

*****

3

"شقة ياسين"

رنَّ الهاتف الجوال الخاص بيس اعتدل من مجلسه، وهو يحاول مقاومة سكرات الاستيقاظ فأمسك بهاتفه:

- صباح الخير..

- أستاذ يس.. كيف حالك؟

- الحمد لله مَن معي؟

- سمير عباس، مدير تحرير جريدة "صوت الشعب" في الحقيقة أنا أحتاجك ضروري.

انتهت المكالمة باتفاق بين الطرفين على موعد محدد، وبعد ساعتين أخبر يس أخاه طه بأمر ذلك الصحفي.

- ألا تلاحظ تغيُّرك؟، لقد تبدلت يا يس، أصبحت تبحث عن الحالات التي ستجلب لك صخبًا إعلاميًا..

ردَّ يس على كلام أخيه وهو يبحث عن طعام في الثلاجة:

- ها.. وكيف نعيش إذًا بدون تلك الطريقة؟

- نعيش مثل كل الناس.. لقد ازداد الوضع سوءًا، ولكن على العموم أنت أخي الأكبر وأنا ليس بيدي غير النصيحة.

ترك طه الجلسة وقرر مصاحبة أخيه على مضض.

كافية كوستا - وسط البلد

يجلس على طاولة تحمل رقم "5" رجل يظهر عليه الوقار، يرتدي بدلة كلاسيكية، دخل عليه الأخوان، فاعتدل من مجلسه مرحُبًا بهما، ونادى على النادل ليطلبا شيئًا.

- صديقي لديه مسرح كبيـر جدًا، ولكن مع الأسف فـقد حدثت فيه جريمتا انتحـار في ظرف شهرين، الغريـب أن السبب مجهول، ولكن أنا أعلم جيدًا وهذا بتفاصيل منه، إنه دائمًا ما يقص عليّ، عدم زيارته للمسرح ليلًا وهذا بسبب حوادث غير مفهومة وغريبة على الطبيعة..

قاطع حديثة النادل واضعًا المشاريب على الطاولة ثم أكمل :

- (صباح محفوظ)، عـاملة نظافة وجدناها منتحـرة شنقًا بطرحتها في غرفة بجانب المسرح، صباح أكدت أكثر من مرة أنها تشاهد خيالات غريبة وكائنات أغرب خصوصًا في الظلمة، ولكن مع الأسف أصدقاؤها دائمًا لم يكونوا يأخذون كلامها بجدية تامة.. (لطفي إبراهيم)، موظف حسابات، وجدوه في نفس الغرفة وهو قاطع لشراايينه وبجانبـه آلة حادة، وآخر شهادة من صديقه قال له إنه سيدلف فقط للغرفة لياخذ كيسًا من الأدوية قد نسيه على مكتبه في الشيفت الليلي، وإن لطفي من سابع المستحيلات أن ينتحر.. خصوصًا أنه ينتظر أول مولود له بعد 15 سنة من عدم الإنجاب؟.. كل ده هذا دفعني للشك يا يس، وكل هذا أرفـض كتابته حتى لا أرمي اتهامات باطلة وليس لها أساس من الصحة، ولكن أنت فقط.. أنت فقط من ستؤكد شكوكي، لا أخفيك سرًا فقد سمعت عنك كثيرًا، وصدقني لو علمت أي شيء عما يدور في هذا المسرح، فاعتبر أن أبواب الخير قد طرقت بابك لأنك تتعامل مع سمير عبـاس.

ابتسـم يس، وأخذ منه عنوان المسـرح ورقم صاحبه الذي سيحدد معه الميعاد المنتظر..

جهز يس وأخوه عدة عمله وأثناء حملهما للأغراض تكلم طه بقلق:

- أنا لست مرتاحًا من هذه العملية..

ضحك يس:

- أتتفوه بهذا الكلام الفارغ وأنا معك؟ منذ متى ونحن نخاف يا رجل؟

- لأن لدي شعورًا أنه هذه المرة ليست كغيرها، فأنا غير مرتاح يا يس.. يوجد قتل يا يس ومن كلامك علمت أنهم مختلفون وليس كلهم كبعضهم، ومنذ خمس سنوات كنا عند شخص اسمه هشام زكريا، وكنت ستفقد السيطرة وكانت المرة الأولى التي أراك فيها تعاني.. وأخاف أن تتكرر..

أشعل يس سجارته ووضع يده على كتف أخيه.

- صدقني الموضوع أبسط من كل ما يدور في مخيلتك.

دخل يس غرفته وهو يستعد لهذه العملية، وضع كاميرته على الشاحن، وأخذ يقلب في دولابه على البالطو الصوفي، أما طه فقد جلس على أريكة الصالة ويبحر في عقله الكثير من الأفكار المشئومة..

***

11 /12/ 2014 مساءً

«مسرح تريانكي»

اقترب الأخوان من المسرح ليجدا رجلًا بقميص أبيض وبنطال قماشي أسود في انتظارهما، وبمجرد أن رآهما رحب بهما بشكل مبالغ:

- أنا حتى الآن غير مصدق بتواجدكما..

- شكرًا لك يا أستاذ حسان على هذا الاستقبال.

- هذه أول مرة منذ 8 سنوات يطلب مني أحدهم أن أدخل المسرح ليلًا.

ضحك يس قائلا:

- ولكن هذه المرة مختلفة يا أستاذ حسان فأنت بصحبتي.

تقدموا للبوابة وأقبل عليهم الحارس (فارس) وبمجرد فتحه للباب، ارتعشت أوصال (حسان) صاحب المسرح وتكلم برهبة وخوف:

- معكم فارس، أنا للأسف غير مستعد للدخول، اعذروني.. كل شيء أنتم علمتموه، وأي مستجدات أخرى سيبلغكم بها فارس. أنا أعتذر.

غادر حسان المكان ودخل الأخوان برفقة فارس المبنى وهو يشرح تاريخ المسرح والمبنى والأحداث التي تدور في الداخل:

- هذا المبنى كبير جدًا، والدور الأخير هو دور المسرح، لم أصعده مطلقًا وهذا بسبب ما يشاع عنه، لم يستمر أحد في عملي هذا أكثر من سنة، أتى موظفون عدة، وفي كل مرة أخبرهم بتفاصيل العمل يتركونني بعد أسبوع أو شهر، ولكن حتى لا أنكر هذا أنا معكم الآن وأنا خائف، فأنا منذ أكثر من سنة لم أدخل المبنى ليلًا، دائمًا اجلس في غرفة الأمن خارجًا، ولي طلب منكم صغير، أريد أن يمر كل شيء بخير، وأن أعود إلى بيتي سالمًا..

ردَّ طه مبتسمًا ليطمئنه:

- لا تخف يا عم فارس، لن نخطفك اليوم.

ضحك فارس ودخل ثلاثتهم قاعة الاستقبال، مبنى مكوَّن من ثلاثة أدوار، الدور الأول مملوك للمحاسبين والإداريين أما الدور الثاني خاص بمجلس الإدارة وغرف تغيير الملابس لأصحاب العروض، أما الثالث فهو دور المسرح، ضغطوا على المصعد طالبين الدور الأول، وبعد ثوانٍ دلفوا منه.

بدأ طه يوجِّه المعدات الخاصة به ناحية الغرف، بينما يس ظلَّ يترجل "بالكاميرا" وفارس من خلفهما يتابع أفعالهما بغرابة وعدم فهم، وبعد

دقائق تكلم طه:

- الموجات لم تصدر أي إشارة، هذا الدور لا يوجد به أثر لأي شيء..

ردَّ يس مؤكدًا على كلام أخيه:

- أنا أيضًا ألاحظ هذا.. أريد أن أبدأ بالدور الثالث وأتجاهل الدور الثاني..

وجَّه كلامه لفارس وأكمل حديثه:

- فارس، أريد أن أعرف منك الغرف التي مات فيها الشخصان.

ظهرت على فارس أمارات الرعب قائلًا:

- أنا لا أصعد هذا الدور؟

هدأ طه من روعه وتكلم برفق:

- يا عم فارس لا تخف لن يؤذيك أحد.

اتجهوا للمصعد وخرجوا منه عند بلوغهم الدور الثالث، وبمجرد وصولهم أبصروا ممرًا كبيرًا في نهايته باب حديدي، أخرج فارس مفاتيحه بخوف، وأشار بيده على غرفة بجانب المسرح:

- هذه الغرفة..

اتجه الثلاثة للغرفة، وفي لحظة هدوء صرخ فارس:

- أحدهم دخل الغرفة، أقسم لكم بذلك، أحدهم دخل الغرفة.

اتجه الأخوان ناحية الغرفة، أما فارس تركهما وركض للمصعد ليغادر.. احتد صوت طه:

- إلى أين أنت ذاهب يا فارس؟

قاطعه يس:

- دعه وشأنه.

قالها وهو يوجه معداته، فسأله طه:

- ألا يوجد أثر

- مِن الواضح أننا نتعامل مع كيان ليس بالسهل.

قالها يس وباتوا يبحثون في الغرفة حتى سمعوا صوت صراخ فارس ليهرعوا إليه مسرعين.

***

يخرج فـارس راكضًا وهو يسب الأخوين، يضغط على زِر المصعد قائلًا:

- افتح أيها الأحمق..

فتح باب المصعد ودخل ثم أغلق الباب عليه، ليتفاجأ أن أزرار المصعد تضيء كلها دون أن يمسها، دخل في قلبه الرعب فرجع خطوات للوراء، هبط المصعد به بسرعة جنونية، تنفس بصعوبة صارخًا:

- ماذا يحدث.. يارب.. ماذا يحدث لي؟

أنوار المصعد أصبحت تضيء وتطفئ حتى نظر في المرآة فوجد كيـانًا مخيفًا ينظر إليه ضاحكـًا فصـرخ خوفًا..

***

نزل الأخوان على السلم مسرعين وذلك بسبب عطل الـمصعد، وصلا الدور الأرضي وظلا يناديان على فـارس

"عم فارس.. أين أنت.. فارس.."

لم يتلقا أي جواب حتى وجدا نور المصعد مضيئًا، اقتربا منه ليجدا باب المصعد مفتوحًا بقدم فارس ناظرًا للسقف بنظرة مفجعة وفاقدًا

للتنفس، اقترب منه طه ووضع يده عليه معقبًا:

- يا إلهي.. لقد مات يا يس، مات.. هيًا بنا من هنا.

رفض يس الاستجابة لأخيه وقال له:

- شغِّل المعدات بسرعة..

وفي تلك اللحظة سمعوا أصوات ضحكات وبكاء آتية من كل اتجاه بصوت رفيع يثير القلق، كسر الكشاف والذي يحمله طه، بينما "الكاميرا" والتي يحملها يس تعطلت، الأنوار عن بكرة أبيها تطفئ ويصبح المكان مظلمًا ومعتمًا، صرخ طه صرخات مدوية.. انفجر يس صارخًا:

- طه.. أين أنت.. طه...؟

تزايد صوت صراخ طه حتى شعر يس بفقدانه للوعي..

***

المستشفى

أفاق يس وهو ينادي على أخيه:

- طـــــه...

فزعت الممرضة وهي تركض باتجاهه لتجده يفك المحاليل، فاتصلت بتليفون الغرفة.

- المريض استفاق يا دكتور..

رمقها يس بنظرة استعجاب.. وتحدث بإنهاك:

- أين أخي؟

أجابته الممرضة:

- اهدأ، الطبيب قادم..

يدخل مجموعة من الممرضين والطبيب المتابع لحالته، ويبدأون في تهدئته..

***

«شقة ياسين»

خرجت من المشفى وأنا فاقد أخي، قالوا لي إنهم وجدوني خارج المبنى وقلبي شِبه متوقف ووجدوا أخي جثة هامدة هو وحارس المبنى فارس نتجية تعرُضهم لصدمة قلبية مفاجأة، آخر شيء أتذكره هو صوت الكائن وهو يقول: "كنت تبحث عني.. وأنا الآن جئت لك"..

متأكد أنه خادم أبي ولعنته، متأكد أنه قاتل أمي "تيليس"، لم أكن أتخيل أنه سينتصر عليّ، لم أكن أتخيل أنه سيدمرني بهذا الشكل، أعتقد أن هذه الرسالة التي سأتركها على الموقع، أعتقد أنها النهاية، فعلت كل شيء من بدايته لأنتقم منه، وحينما وصلت له انتصر عليّ، بداخلي غِلّ وكره كبير، ولكن لن أبحث عنه من اليوم.

قبل أن أضغط على زر تنزيل الرسالة، قبل أن أعلنها، سمعت نفس الضحكة التي سمعتها في بيت أبي داخل "كفر الكومي"، نفس الضحكة التي سمعتها في معاناة أمي، والتي آخر مرة سمعتها فيها داخل المسرح.. ابتسمت وقررت تأجيل إعلان الرسالة لأنه من الواضح هو من يبحث عني الآن.

تذكر انك حملت رواية محكمة الغربان حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والنادرة والجديدة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك.

(محكمة الغربان)

بين هدوء المقابر اقتربت أصوات أقدام، شخصان يحملان نعشًا ويترأسهما رجل عجوز بجلباب بالٍ كأنه دليلهما، يقبض بيديه على مصباح يهتز وسط شواهد القبور ليبعث الحياة في الظلال النائمة، اقترب ذلك الشخص من فناء متواضع يكثر حوله نبات الصبار ومن خلفه الرجلان، مدَّ العجوز يده في سترته، ثم أخرج سلسلة من المفاتيح ينتقي منها مفتاحًا رثًا، يوقر في آذانهم أصوات الباب، سلّط كشافه ليجدوا في مقدمة الفناء لافتة مكتوب عليها "السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، مقابر عائلة التوني" تكلم الرجل العجوز قائلًا:

- آخر مرة فتحت المقابر دي من 11 سنة.

فرد شخص من الاثنين الحاملين للنعش.

- واضح أنك قديم هنا.

- أنا عمري 75 سنة، 70 منهم قضيتهم في المقابر، بس سيبك مني؟ أنا بعد تفكير لقيت إن الجثة ولا ليها تصريح دفن ولا حتى إثبات هوية، 1000 جنيه قليل أوي يا بشوات.. أنا هاخد 2000.

زادت الحدة في كلام أحد الرجلين حتى لحقه زميله ووضع يده على فمه وقال:

- إحنا عنينا ليك يا عم رجب.

بدأ ثلاثتهم في الحفر، فتحوا النعش ووضعوا الجثة وبعدها أغار شخص منهم على العجوز بعتلة حديدية ليموت في الحال، فصعق الرجل الآخر:

- قتل تاني؟ لا.. لا يا توني قتل تاني..؟

بدأ يمسح (التوني) يده من أثر الدماء وهو يرمق صديقه بنظرات شر

وابتسامة قائلًا:

- وأقتل 1000 واحد يفكر بس يا صابر إنه يفتح بؤه على اللي إحنا عملناه.. إيه يا صابر مالك؟ مش إنت برضو اللي قاتل جمال أبو الفدا معايا؟

- بعد ما هددتني يا ابني.

- لا قصدك بعد ما عرفت إن الفلوس هتتقسم على 2 بدل 3.. صدقني يا صابر لو جمال كان مكانك، كان عمل نفس اللي إنت عملته، اقفل الحفرة وحط الشاهد على ما أشرب سجارتين في العربية

خرج التوني وسط صيحات نباح الكلاب وترك صابر ممسكًا بفأسه ناظرًا للجثتين بنظرات مريعة.

***

20.. أبريل 2017

- السم اللي هي شربته خلاها في حالة خطيرة يا محمود، أنا مش عارف أقولك إيه بس الوضع صعب لازم نلحقها في أقرب مستشفى.

كانت هذه آخر العبارات التي تفوّه بها دكتور (وليد)، كنت أعلم أن أمي ستموت ولكنها مسألة وقت فقط، وبرغم صعوبة الموقف إلا أنني كنت ثابتًا، أحاول أن أتذكر كل ذكرياتي السعيدة مع أمي، حتى وصلت الإسعاف وأخذتها، ذهبت معهما وبعد نصف ساعة من وصولي، أخبرني الطبيب المشخص للحالة بوفاتها، كان يومًا عصيبًا جاءت الشرطة وتحققوا من الأمر وقُفل المحضر بأن أمي انتحرت.

أتعلم ما الغريب.؟ أنا لم أتأثر.. حاولت فعلًا ولكني فشلت، لا أعلم هذا بسبب ما عنيته في طفولتي، إنكار عائلتي لي ووصفهم بأني ابن حرام؟ هل هي التي سببت حالة الكره وخلقت بيني وبينها حاجزًا، أم ورث أبي الذي حُرمت منه برغم رفعي لعدة قواضي، لم أجنِ منها سوى

بعثرة القرشين اللذين أمتلكهما للمحامين، تبًا لحياتي فهي لعينة، لم أحقق مطلقًا ما تمنيته في صباي، حتى خلقت بيني وبين الناس ألف جدار، عزل منيع لا يمكن تحطيمه، فشلت في كل شيء حتى الأطباء النفسيون أرهقوا مني، ولا أملك من هذه الحياة الرثة إلا صديق يشبه حالتي.. بالنسبة لعملي؟ فأنا أعمل صحفي في جريدة للحوادث لا تصدر سوى مرة في الأسبوع وبأجر زهيد..

***

(25 أبريل 2017- "شارع الحجاز" - القاهرة)

(التاسعة مساءً)

امتد ظل عدد كبير من النـاس على مدخل أحد العقارت، ملامح الحشد فور مطالعتها تثير مشاعر الخوف والارتباك، متجهين بأعينهم لشرفة في الدور الخامس، يتدلى من الشرفة جسد المهندس (أمجد)، والذي حاول الانتحار مرارًا وتكرارًا، الجميع يعلم أنه بعد فقدانه لعائلته في عبارة "السلام"، لم يعد كسابق عهده ولم يُخفَ على سكان شارع الحجاز مرضه النفسي ومغامرته مع الأطباء ومحاولات انتحاره المتعددة، لكن لم يخطر على بال جيرانه وكل أصدقائه ومعارفه هذه الطريقة، فبعد شروق الشمس صعقوا برؤيته مشنوقًا بجسد عارٍ ويتدلى "كسبت شرفة من الخوص"، حتى اخترقت آذان الحشد صوت سيارة إسعاف فتفرقوا على جوانب الطريق، تابعتها بعد دقائق سيارة شرطة بها رجلان أحدهما ببشرة خمرية أخفى عينيه البنيتين بنظارات شمس.

وضع جاكته على الكرسي الأمامي للسيارة ثم نزل مشمرًا قميصه الأبيض حتى العضد مستعرضًا عضلاته المتينة وأمر بانتشار قواته حول المكان، ثم سار بخطوات بطيئة مثبتًا نظره للمسعفين في الدور الخامس وهم ينتشلون الجثة المعلقة على درابزين الشرفة.. تقدَّم ليصل إلى مدخل العمارة فتكلم أحد الجنود بصوت جهور:

- وسع يـلا.. وسع إنت وهو، اتفضـل يا وائل بـيه.

دفع الجندي بعض من النـاس المُجتمعين حول العمـارة حتى دخل (وائل) ورفيقه المبنى، ضغط على المصعد واضعًا نظـارته الشمسية فوق رأسه الحليـق.. توقف عند الدور الخامس، ليجد شقة تحمل رقم (١١).

- خُش إنت يـا رمزي، هعمل تليـفون صغيـر وأبقى وراك.

- تحت أمرك يا وائل بيه.

كانت هي المرة الأولى التي يرافق فيها (رمزي) الرائدوائل والذي من طباعه إنجاز مهامه مفردًا، دلف رمزي إلى الباب وعيناه تطوفان في بهـو الشقة، شقـة متواضعة تنم عن جـو ذكوري مكثّف لم يكْشـف على أنثى منذ أمدٍ بعيدٍ، أمامه صـالة كبيـرة في آخرها شـرفة بابها مفتـوح على مصراعيه ويـوجد بهـا مجموعة من المُسعفين يُبطنون الجثة داخل غطـاء أسود بلاستيكي، وأثنـاء تقدمه لهم سمع صـوتًا لنعـاق آتيًا من غـرفة على يسـاره فتجـاهل ترحيب المُسعفين متعمّدًا وأسرع في السير بقدميه للغـرفة وشرع بابها.

غرفة بهـا سـريران ومكتـب معدني عليه ثلاثة أقفـاص حديدية وبداخلها مجـوعة من الغـربان السوداء تصدر نعيقـًا مرتفعًا متذمرةً من الخـوف ورافضة وضعها هنـا، فالحريـة بالنسبة لهم نور سـاطع يبدد ظلمة أعشاشهم الخربة. اقتـرب من الأقفـاص وهو يتـابع حركة الـغربـان لدقـائق معدودة، حتى رُبتت يد على كـتفه فاهتزت أوصـاله والتفت برأسه ليجـد الرائد وائل يضـحك:

- لا، أنا محدش بيشتغل معايا بيبقى جبـان.

أخـرج وائل ولاعة وأشعل سجارته فبادره رمزي بسؤال:

- أول مـرة أشـوف حد بيربي غـربـان يـا وائل بيه.

- أمّال لو شفت شكل الجثة؟

- مالها؟

سحب نفسًا عميقًا من سجارته ثم نفث دخانها في الهواء واجاب:

- على ضهره بالطول تاتو كبير لغراب أسود.. ومكتوب تحته يعني رائحة الموت **The smell of death**

قالها وائل بعدما أدامَ النَّظَرَ لقفص الغربان بعضًا من الثواني ثم رمى سيجارته ودهسها بقدمه والتف بجسده بخفة مغادرًا وهو يشير لرمزي بمتابعته.

***

25ابريل 2017

الثامنة مساءً

تذبذب هاتفي والذي وضعته على منضدة صغيرة بجانب السرير، بالكاد تحركت في خمول، فقد سررت بفكرة النوم بعد ليالٍ من الأرق الشديد، النوم هو الفائدة الوحيدة التي أتمتع بها في عملي كصحفي أتقاضى أجرًا زهيدًا في صحيفة لا تصدر سوى مرة واحدة في الأسبوع، ولكنها رفاهية تبخرت الآن، كان هدفي الوحيد هو معرفة من ذلك الذي سيمتص غضبي الفوري، مددت ذراعي طوْعًا إلى المنضدة والتقطت الهاتف لأخرس إلحاح المتصل. نظرت إلى هاتفي لأجده صديقي (إبراهيم) فتأففت وأجبت على الهاتف:

- إنت فين يا محمود؟

- نايم..

- إنت بقالك أسبوع بعد وفاة الحاجة في البيت.. عندي ليك خبر هيفرحك.

- الرواية بتاعتي اتقبلت.

- الله هي دي الأخبار اللي تفرح.. لازم أحتفل معاك.

- أنا مستنيك على القهوة.

"إبراهيم صديق طفولتي، كاتب فاشل.. يحلم دومًا بفرصة لإظهار موهبته، أحاول جاهدًا أن أكون أكبر داعميه، فشاركت معه هذه الرواية بكل وجداني رغم أني لا أعلم محتواها حتى الآن.. عثر أخيرًا على دار نشر بعد معاناة دامت أكثر من **240** يومًا.. واليوم حلمه قد تحقق."

أغلقت الهاتف، وأنا ألفظ أنفاسي بتنهد ثم اعتدلت في مجلسي وأنا أحاول مقاومة سكرات الاستيقاظ وصداع شديد بسبب إسرافي في السجائر الملفوفة ليلة أمس، رمقت بعينيَ باب غرفتي والتي وجدت على حائطها بعضًا من الملصقات المقطوعة لناديَ، وبعض النجوم الذين لم أعد أكترث لأمرهم وأنا أتحسس شبشبي الجلدي بقدمي حتى وجدته، لبست وبدأت اترنح حتى وصلت للحمّام، نظرت في مرآة حمامي مستعجبًا ففي كُل مرة أحدق بها أبذل جهدًا في استيعاب ملامحي مقارنة بصور الجامعة، لم أعد أمتّ لنفسي القديمة بصلة، ذقن تغزوها الشعيرات البيضاء باستحياء، وعينان تزحف فيهما العروق الحمراء، ثلاثة شرائط طولية كقضبان القطار تبرز في وجهي

بعد نصف ساعة كُنت أجلس معه على القهوة، جلسة دامت قرابة الساعة أخذ يسرد لي إبراهيم فيها أحلامه وطموحاته في حالة شهرة الرواية قائلًا:

- في يوم هتبقى أشهر صحفي وأنا أشهر كاتب في مصر وهفكرك..

قاطع كلامه اتصال رئيس تحرير صحيفتي، كنتمستعجبًا لماذا يتصل بي في عطلتي؟ فأجبت:

- إنت فين؟

- بره البيت في مشوار كده، إشمعنى يا ريس؟

- إنت مبتفتحش نت؟، ماشفتش الجريمة اللي بيتكلم عليها الناس من نص ساعة.

- جريمة إيه؟

- أنا لسه هحكيلك؟ هبعتلك لوكيشن توصلي هناك كمان ساعة وتديني تقريرك على طول..

أنهى جملته وأغلق المكالمة في وجهي.

"عثمان عبد السلام رئيس تحرير جريدة الحادثة، والتي أعمل بها، يظن أن جريدته واسعة الانتشار ولا يعلم أن من يقرأ هذه الصحيفة لا يتجاوز الأربعة أو خمسة قراء، وإذ لم يكن هناك موقع يعتمد على أخبار جذب الانتباه على الإنترنت ستغلق الصحيفة من الإفلاس".

استأذنت من إبراهيم وأشرت بيدي لتاكسي مسرع:

- رايح فين يا باشا؟

نظرت في المكان المرسل منه على هاتفي، وأجبت:

- شارع الحجاز، مصر الجديدة؟

- 100جنيه..

فتحت باب السيارة وركبت وأنا أضحك، فلو كل جريمة سأستقل بها تاكسي ويتقاضى مني 100 جنيه، فبتلك الطريقة سأصبح أنا من أصرف على جريدة عثمان عبد السلام من جيبي.

الطريق كان مزدحمًا عكس عادة يوم السبت، نزلت بعد معاناة لأجد منظرًا مهيبًا؛ حشد كبير مجتمع تحت عقار شاهق، وجسد لشخص ما يتدلى من شرفة في الدور الخامس، منظر مروع أرهب الناظرين.

أخرجت "كاميرتي" وأخذت أصور وأنا أسأل الناس حتى علمت بعض المعلومات عن الضحية:

"أمجد فريد" مريض نفسي، حاول الانتحار أكثر من مرة، في الفترة الأخيرة كان يتعالج عند طبيب مشهور وحالته استقرت نوعًا، حتى تفاجأ الجيران بهذا المنظر..

قاطع سؤالي عربية شرطة نزل منها ضابطان ومجموعة من العساكر، فرّقوا التجمع ومكثت بعيدًا، أراقب وأنا أسأل بعض الأشخاص المعنيين والذين كانوا على علاقة دائمة بالمجني عليه.

كتبت تقريري وذهبت به للجريدة في تمام الساعة الحادية عشرة، جريدتي كعادتها ناقشت القضية بشكل آخر مستغلة وسائل التواصل والتي كانت في حالة رواج تام بالقضية وتكلمت عن وشم الغراب وما يرمز له، وكالعادة أيضًا انتسب الفضل لـ (محمد حسن).

"محمد حسن صحفي إلكتروني، يعلم جيدًا ما يجذب الانتباه، وعنده قدرة خاصة على إثارة الجدل، أو بمعنى أوضح بدونه لن يجيد عثمان عبد السلام كيفية تدبير مرتبات العاملين أو دفع إيجار المبنى القائمين فيه"

بعد ساعات من العمل المرهق رنّ هاتفي على الساعة الثانية بعد منتصف الليل تقريبًا، كانت (إيمان) ابنة عمي وحب حياتي. أجبت:

- أيوه.

- إنت مش بترد على تليفوناتي ليه بقالك يومين؟

- مسحول في الشغل.

- أنا تحت مقر الجريدة انزل.

- دلوقتي؟؟

- انزل بقولك، مستنياك..

قفلت حاسوبي واستأذنت لأغادر.. رأيتها جالسة في سيارتها فاقتربت منها:

- إنت فين كل ده ومبتردش ليه؟

"إيمان عدلي ابو الفدا ابنة عمي، عمي والذي تبرأ مني ولكنها لا تشبه أحدًا في عائلتنا، كلما حاولت الابتعاد عنها اقتربت أكثر، ترى فيّ أشياء لم أدركها بنفسي، تؤمن بي وبقدراتي وتقول إنني سأكون أشهر صحفي في الوطن العربي، رغم أنني لا أملك المقومات للرجل التي تتحدث عنه، رجل أسطوري في خيالها فقط".

- أنا لسه مخلص شغل.

- إنت اللي كتبت المقال اللي نازل باسم محمد حسن طبعًا.

- مش هتفرق كتير يا إيمان.

قولتها بابتسامة لترد:

- وحشتني..

- وإنتي كمان بس ثواني، إنتي إيه المنزلك في الوقت ده، ووشك مزرَق ليه؟

- اتخبطت.

- إمممم.. طيب دي نص الإجابة، والنص التاني؟

- مسافرة.

- مسافرة فين؟

- مسافرة معاك..

- فين؟!

تبدلت ملامحها وقـالت:

- فين إيه يا محمود؟ اتفاقنـا.. حيـاتنا.

- أممم عشـان كده ابوكي ضربك.

احتد صوتها.. واندفعت قائلة:

- إنت مالك مين ضربني، أنا ليا بيك إنت.. إنت ليه دايمًا حاططني في كفتهم؟

- إيمان أنا عمري ما قارنتك بيهم، بس أنا مبقاش ينفع أسافر.

- وده عشان إيه؟؟

- لازم أعرف أنا مين..

- إنت ابن عمي.. إنت محمود جمال أبو الفداء.

- ده على البطاقة يا إيمان.. على البطاقة وبس.

كانت كلماتي موجعة بالنسبة لها، شعرت بتحطم قلبها في جملتها التي قالتها:

- إنت عايز تبيع كل حاجة عملتها يا محمود بالرخيص،ساكت.. هه.. أنا كنت غبية، أنا ماشية وهرجع أعتذر ليهم، بس المرة دي مش هتشوف وشي تاني..

ضغطت على إطارات سيـارتها وغادرت، ولأول مرة منذ زمن بعيد شعرت بدموعي تقطر على خدي، أمسكت برأسي وأنا احـاول أن أتماسك، شعرت أنني منذ هذه اللحظة سأواجه العالم بمفردي.

***

27 أبريل 2017

قسم مصر الجديدة

يدخل القسم شخصان، منهما رجل أنيق ببدلة سوداء، يظهر من لمعانها سعرها المبالغ فيه، وبجواره شخص بقميص أبيض وبنطال أزرق قماشي يرمق القسم بنظرات ذهول ويظهر عليه الاشمئزاز، أطرقوا على غرفة الرائد وائل محروس.

- أهلًا أهلًا يا دكتور عبد الله.

قالها وائل فقدم الرجل الآخر الكارنية الخاص بيه، فأمسك به وائل:

- ياه سيادة المحامي عبد الرحمن حفظي بنفسه هنا.

"المستشار عبد الرحمن حفظي، رجل له قدره وصيته، يعرف بالقضايا المشبوهة ويعمل لدى رجال أعمال مرموقة في البلد، أشهر قضية له هي خروج رجل أعمال من جريمة قتل مكتملة الأركان بمجرد ترافعه عنه، ومقرب جدًّا من المسؤولين وأصحاب السُّلطة".

ابتسم عبد الرحمن للرائد وائل قائلًا:

- أنا اللي زادني شرف معرفتك يا وائل بيه، عرفت بس إن أخويا عبد الله حضرتك بتستدعيه.

- يا باشا ده أمر تافه، حتة ولد كان بيتعالج عنده بس انتحر، عايزين بس أقواله عشان نقفل المحضر.

التفت وائل لعبد الله:

- أنا آسف أني أزعجتك بجد.

"عبد الله حفظي، دكتور نفسي ذاع صيته في الفترة الأخيرة، يأتي له المرضى من أنحاء الوطن العربي وأوروبا بسبب سمعته البارزة، وبمناسبة سمعته.. عبد الله متعدد العلاقات، لا توجد امرأة خطت عتبة العيادة ولم يحاول معها، وياحبذا إذا كان لديكِ يا مسكينة ماضٍ قديم فأصبح هذا وسيلة تهديد في يده، وبرغم كل هذا إلا أن اسمه يكبر في الأوساط المختلفة، وهذا نتيجة أموال أبيه والتي يصرفها

على الإعلانات في كل الطرق والميادين وعلى وسائل التواصل".

- أمجد كان شخص مضطرب، عنده هلاوس متكررة، لكن الفترة الأخيرة زادت وبدأ يقول إنه بيشوف شخص بقناع غراب في أماكن متعددة، بس كان مستمر على الأدوية اللي بديهاله ولكن للأسف المرض تمكن منه.

***

27 أبريل 2017

الثامنة صباحًا

ظللت في التفكير ليلة أمس، لم أجد دافعًا للمجني عليه أن ينتحر بهذه الطريقة كما تزعم الشرطة في تحقيقاتها، أغلب الشهود يقولون إن أمجد كان يشاهد دومًا شخصًا يرتدي قناع غراب، فما علاقة وشم الغراب على جسده بالأحداث؟، ما علاقته بالغربان أصلًا؟ وأثناء بحثي في وسائل التواصل وإذا بي أجد نفس الجريمة مرة أخرى بنفس الطريقة، ولكن تلك المرة لسيدة..

لم أجد أي تفسير لما يحدث حقًا، وخمنت أنه قاتل متسلسل يعشق الغربان؟ فوجدتها.. (عم صابر) هو الحل، نزلت راكضًا من بيتي..

"عم صابر، رجل قعيد نال الدهر منه بعد ثرائه الفاحش، حتى استقر بآخر ما تبقى معه في دكان للحيوانات والطيور وهو أيضًا والد إبراهيم صديقي.

نزلت من بيتي لأجد عم صابر يجلس على كرسيه المتحرك ممسكًا بيده الجرنال الصباحي، اقتربت منه وبدأت أحكي معه وأستخبر عن أحواله، ثم بدأت أسرد قصة الجريمتين:

- لو اللي عمل كده قاتل، إشمعنى بيستخدم الغربان؟

ابتسم لي عم صابر وسار بكرسيه ناحية أحد الأقفاص:

- إبراهيم سألني السؤال ده من سنة..

سرح عم صابر متأملًا الغراب وأكمل كلامه:

- الغراب ذكي.. ذكي بطريقة مبهرة، مبيخافش من الطيور الجارحة، صوت نعيقه رغم إن ناس كتير بتعتبره مصدر شؤم إلا إنه ليه هيبة كبيرة، الغربان عندها محاكم وقوانين ونظام واللي بيخرج عنه بيتعاقب، عندها كمان جنازات وطقوس جنائزية أنا لما شفتها في مرة في طريق سريع خُفت من هيبة المنظر.

من حديث عم صابر، وددت أن أمتلك واحدًا منهم، وفعلًا اشتريت واحدًا ووضعته في بيتي متجاهلًا رنات هاتفي الصادرة من رئيس التحرير، حتى أجبت الهاتف وأنا مستقل تاكسي:

- إنت فين ومبتردش على أمي ليه؟؟

- عشان أنا متجه للمكان ياريس.

- يعني إنت موجود؟

- أيوه داخل على مكان الواقعة.

عندما وصلت، رأيت نفس الأحداث التي وجدتها في المرة السابقة، ولكني عاهدت نفسي أن في هذه المرة سأحاول إثبات أنها جريمة قتل وليس انتحارًا كما تزعم الشرطة.

***

27 أبريل2017

كورنيش النيل - العاشرة صباحًا

- إنت قولتلي هتستخدم الملف وترجعه بعد الرواية يا إبراهيم، دلوقتي أنا في ورطة، أبوس إيدك أبوس إيدك أنا عايزة الملف.

- والله يا فاطمة ضاع مني وسط الورق..

- يا إبراهيم مش معني إني حبيتك إني هضحي بـأبويا الغلبان، ده ملوش دعوة بأي حاجة وهو اللي ماسك الملفات عند دكتور عبد الله، مش هشوفه بيتحبس وأنا واقفة أتفرج، يقطع إيدي اللي إديتك مفاتيح العيادة يـا شيخ..

- طيب اهدي أنا هتصـرف

- قدامك للنهارده يـا إبراهيم..

***

27 أبريل 2017

قسم مصر الجديدة - الثالثة عصـرًا

احتد صوت الرائد وائل:

- يا عبد الرحمن بيه.. يا عبدالرحمن بيه افهمني، الناس دلوقتي بتتكلم ورابطين اسم الدكتور عبد الله بالموضوع، ولما سألنا التمرجي اللي عند أخوك، قال إنه مش عارف ملفات المرضى فين..

تكلم عبد الله مندفعًا:

- يعني إيه ملقتش الملفات ومين أخدها وأخدها إمتى؟.. الملفات دي مسؤولية صالح التمرجي.

في هدوء تام أشعل عبد الرحمن سيجارًا فاخرًا وأخذ نفسًا عميقًا وقال:

- إنت لازم تهدي الوضع يـا وائل بيه، وتكتم على سرقة الملفات على قد ما تقدر لأنها مش هتفيدك بحاجة دلوقتي، زي ما إنت شايف صالح التمرجي بينكر، وبخبرتي في التعامل مع المجرمين معتقدش راجل مسن زي ده يقتل بالشكل ده، لكن صالح هو اللي هيوقع القاتل برجله

بس لما يتطمن إنه فلت من الموضوع، وساعتها المجرم مش هيكون عارف موضوع الملفات وصالح هيحاول يبعد عنه، وفي الوقت ده هيتقفش من خلال مراقبتنا ليه.. خليه يتعامل عادي، وعبد الله كمان يتعامل معاه عادي في الشغل.

ينفعل عبد الله صارخًا:

- شغل مين يا عبد الرحمن آنا اسمي بينهار.

يأخذ عبد الرحمن نفسًا آخر من سيجاره، متجاهلًا حديث أخيه قائلًا للرائد وائل:

- زي ماقولتلك يا وائل بيه، عشان نخلص من القصةدي، لازم اللي بقوله ده يتم..

***

28 أبريل 2017

قهوة شجرة البستان - وسط البلد

- ليه يا إبراهيم؟

-ليه إيه يا محمود..

- ليه قتلتلهم؟

- إنت مجنون، مجنون يا محمود صح؟ أقتل! أقتل إيه؟

ـ أنا قرأت الرواية، نفس التفاصيل، نفس الربط بتاع الأحداث، كنت بكدّب نفسي لحد ما مجموعة من القراء في جروب بدأوا يتداولوا الرواية، بعد ما مدير النشر بقى يتكلم عنها ومدى ترابطها بالأحداث اللي بتحصل، الرواية دلوقتي تريند يا إبراهيم، بس إنت خسرت.. خسرت اسمك، خسرت كل شيء، وأنا وإنت بنتكلم الطباعة مش ملاحقة على روايتك، الناس عايزة تعرف مين الضحية الجديدة

وهتموت إزاي؟.. أنا آسف، بس أنا سلمت مقال من شوية، هيسلمك للعدالة يا إبراهيم..

- أنا، أنا يا محمود؟ قسمًا بالله ما عملت حر إني أخدت ملفات المرضى عشان أدرسها، الحاجة الغلط الوحيدة اللي عملتها إني لعبت بقلب مسكينة وأوهمتها بالحب عشان أوصل للمفاتيح اللي مع أبوها..

- وفكرة القتل يا إبراهيم؟ وسؤال أبوك عن الغربان، كل حاجة ضدك يا صديقي..

- أنا معملتش حاجة، والله فكرة الرواية دي مكتوبة من زمان، الفكرة دي من سنة.. عن دكتور نفسي بيتسرق منه ملفات المرضى، والمرضى هم الضحايا عن طريق شخص مجنون.. بالله عليك ما تشك فيا.

***

30 أبريل2017

كل وسائل التواصل الاجتماعي، وبرامج الأخبار والتوك شو تتحدث عن أمر واحد فقط: رواية إبراهيم صابر اللبان. صديقي حقق حلمه وأصبح اشهر كاتب في الوطن العربي، ولكنه الآن يُلقى وراء القضبان، لا أعلم حقًا هل ما ارتكبته في حقه كان صائبًا، هل كتابتي ضده في محلها؟ هل ضميري مرتاح؟ وأثناء تفكيري وجدت وسائل التواصل مقلوبة على صورة صالح التمرجي، مرسوم على ظهرهدنفس الوشم وملقى في النيل!

***

ظهر اليوم

وضع وائل طبنجته على المكتب متحدثا لإبراهيم:

- مش ناوي تعترف بقى يا هيما، يا راجل.. يا راجل ده أنا صعب عليا منظر وشك، على فكرة أنا راجل طيب اللي بعدي مش ه...

قاطع كلامه رنات هاتفه، نظر في الهاتف واقشعر بدنه:

- سعادة الباشا..

- إدي ملف القضية لفريد التهامي.

بنغمة مرتبكة تحدث وائل والعبارات تخرج من فمه بصعوبة:

- ليه بس يا سعادة الباشا ده أنــ...

- نفذ.

قفلت المكالمة في وجهه، لم يتمالك نفسه عندما سمع اسم (فريد التهامي) فهو يعلمه جيدًا، تخرجوا من دفعة واحدة، ولم يجد متسعًا لعصبيته إلا في إخراجها على وجه المسكين الذي أمامه، فأخذ يصفع إبراهيم على وجهه ناطقًا جملة واحدة:

- قتلتهم ليه؟ قولي.. قتلتهم ليه؟

***

فندق سمراميس ـ القاهرة

ينزل من سلم القاعة عبد الرحمن ممسكًا بيد أخته (عائشة) ويسلمها لزوجها فريد التهامي وسط احتفال كبير من الحاضرين، وفي وسط أجواء الاحتفالات. يخرج فريد متجاهلًا الحضور ومتجهًا إلى عبد الرحمن ليتكلم بغضب وغيظ:

- عايزك دقيقة.

يترك عبد الرحمن كأس الخمر ويستأذن الحضور في الجلسة المغلقة.

- إيه اللي عملته ده ياعبد الرحمن؟

- عملت ايه؟

- متلفش وتدور، إنت اللي رشحتني لأم القضية دي.. وانت إلى

وسطتهم عليا.

يسحب عبدالرحمن كأس من خادم الفندق الممسك بالصينة

- أيوه..

- أيوه إيه؟

- لقيت الظابط وائل الأهبل ده لايص.. وعمال يدخل المتخلف عبد الله في حورات، قتل إيه وبتاع إيه اللي ليه علاقة بأخويا، ده آخره ركوبة وإنت عارف.. والموضوع يمسنا يا أبو نسب، ومفيش غيرك هيحلها.

ينفعل فريد:

- ماشي، بس بعد فرحي.. بعد فرحي يا عبد الرحمن ده مديني يومين، مش هلحق حتى أع...

-تعمل إيه؟

قالها عبد الرحمن بابتسامة ماكرة:

- ولا حاجة.

ضحك عبد الرحمن:

- عايشة أختي مش هطير..

رجع عبد الرحمن لقاعة الفرح فوجد زوجته سارة تجلس بجوار عبد الله وأبيه (حفظي)، تكلم الأب ناظرًا لولده:

- مالك يا عبدو، حاسك مش مظبوط؟

- خالص يا بابا.. مفيش حاجة.

- هدي دماغك إحنا في فرح، هروح أقعد مع (طارق لطفي) ماتيجي معايا؟

سار الابن والولد معًا يرحبان بالحضور، ثم تكلم الأب موجهًا كلامه

إلى عبد الرحمن:

- آخر فرصة لطارق النهارده.. مخلصش الصفقة وديه المقابر يا عبد الرحمن.

- هاهاها، غريب إنت يا أبويا، بتتخلى عن صحابك وعشرة عمرك في دقيقة.

أخذ حفظي شربة من كأسه ثم قال:

- كل ده ولسه مفهمتش أبوك.. أبوك ملوش صاحب غير مصلحته يا عبد الرحمن.

"حفظي عبد السلام من أكبر رجال الأعمال في الوطن العربي، نفوذه في كل مكان في السوق التجاري، فعل كل الأشياء المحرَّمة، دنيته الأرض ويكره سيرة الموت لدرجة أنه لم يذكر له الذهاب لتأدية واجب عزاء طوال حياته..»

تذكر انك حملت رواية محكمة الغربان حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والنادرة والجديدة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك.

***

18 مايو2017

- إنت واخدني فين يا عبد الرحمن؟

- هنزور أمك..

- أمي إيه بس يا عبد الرحمن؟

بدون أي تعابير، وبعيون تركز في الطريق:

- حلمت بيها إنها عايزة تشوفك..

- ياجدع في إيه؟

دلف عبد الرحمن من سيارته وتبعه أخوه عبد الله.

- هو أنا أمي مدفونة هنا؟

فتح عبد الرحمن الباب الصدئ، ليجد عبد الله لافتكتوب فيها "السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون.. مقابر عائلة التوني».

- مين التوني ده؟

قالها عبد الله باستعجاب..

- دي عيلة أمك، وأظن أن هي دلوقتي مشتقالك..

يظهر التوتر على وجه عبد الله:

- تقصد إيه يا أخويا؟

ولع عبد الرحمن سيجارة ثم قال بحسرة:

- علاقة الأخوة دي اكتشفت إنها فانية.. هتخلص هنافي الدنيا، أما هناك مفيش إخوات، عمري ما تخيلت إن نزواتك تطولني أنا وتخليك تبص لمرات أخوك!.. اللي حاميك، اللي بدونه متسواش لا إنت ولا أبوك مدمن الأفيون.. بذكائي خليتكم بشر لهيم قيمة، بس أنا صعب.. صعب أتكسر يا عبد الله، آخر حاجة هتشوفها في دنيتك هي المقابر، المكان ده أبوك من زمان بيخلص فيه على الأشكال الزبالة بدون حس ولا خبر..

يندفع عبد الله راكضًا نحو أخيه مترجيًا إياه، وفي تلكاللحظة أخرج عبد الرحمن سلاحه وهو يفرغ في جسد أخيه الرصاصات، وقطرات الدموع تسيل على خده، ثم خرج لسيارته وفتح شنطتها وأخذ جثة

زوجته، وأخرج فأسا وبدأ يحفر..

وحينما انتهى، اخترقت جسده طلقة من الخلف..

***

18 مايو2017

وسط اجتماع لرجال الأعمال، وصلت رسالة إلى حفظي

"ابنك عبد الرحمن قتل أخوه في مدافن التوني"

أمسك حفظي الهاتف غير مدرك للرسالة من الرهبة، وإذبه يتصل بالسائق الخاص له

- تعالى بسرعة يا غبي أنا تحت الشركة..

كان حفظي في عالم آخر، أما السائق كان يحاول إخفاء وجهه بكاب أسود فوق رأسه، حاول حفظي الاتصال بعبد الرحمن ولكن دون فائدة، وبعد دقائق استجاب هاتف عبد الرحمن وفتح المكالمة، فانفجر حفظي قائلًا:

- إنت عملت إيه يا عبد الرحمن، قتلت أخوك فعلًا؟ قتلته صح.. رد عليا.. مابتردش ليه؟.. ساكت ليه..

يُغلق هاتف عبد الرحمن في وجه حفظي الذي ظل يبكي، حتى لاحظ أن السائق يعلم الطريق بدون معرفة مسبقة منه؟ فتماسك وتحدث للسائق بغضب:

- هو أنا قولتلك إحنا رايحين على فين؟

- لا..

- أومال إنت رايح على فين؟

-مقابر التوني..

- إنت عارف المقابر دي منين؟

- حد ينسى المقابر اللي مات فيها أعز أصدقائك يا بابا؟

- بابا؟؟

يسرع السائق بالسيارة على الطريق الصحراوي..

- إنت مين؟

- على البطاقة وفي الورق.. اسمي محمود جمال أبو الفداء، بس في الحقيقة أنا اسمي محمود عبد السلام حفظي..

يرتعد حفظي وتصيبه الرهبة والقلق ويقول:

- أنا معنديش ابن اسمه محمود..

- متحاولش تفتح العربية، ومتحاولش تتصل بحد.. العربية فيها قنبلة.. أي تصرف أهبل هدوس عليها وتنفجر وأنا وإنت هنموت.. وأنا اصلا مش باقي على اللي فاضل من عمري .

- لا.. لا كله إلا الموت، أنا هديلك اللي إنت عايزه.

- بالظبط، أنا محتاج حاجة بسيطة وهسيبك.. فملهاش لازمة أي حاجة من اللي بتفكر فيها.

- عيني.. هتشوف بعينك، هتشوف كل ده بعينك هديك أي حاجة تطلبها..

- هنشوف.

***

وصلت المقابر وأنا غير مدرك لما سوف أفعله بحفظي.. أفكر في ألف طريقة موت بشعة، كنت أشعر بالابتهاج وأنا أرى في عينيه الخوف، قال بنبرة مرتعبة:

- إنت عايز إيه..

رفعت سلاحي وقلت:

- يا أخي فعلًا الحياة سلف ودين، ولادك الاتنين ميتين بسبب نفس اللي إنت عملته زمان، أنا اللي فتحت عليك موبايل عبد الرحمن عشان أشتت تركيزك لحد بس ما أمسك الطريق السريع ومتلاحظش إني السواق بتاعك، من 30 سنة.. قتلت صاحبك اللي هو والدي على الورق إنت وصابر اللبان عشان حتة آثار، بس مكنش ده السبب الحقيقي.. إنت كان جواك نية سليمة وهتقسمها على3 ،بس اكتشفت إن جمال زوجته حامل، وجمال عارف كويس إنه عقيم، فمكنش قدامك إنت وعشيقتك غير إنكوا تسموه، مع إنه أول واحد وثق فيه هو إنت ياحفظي! لما جه قالك إن مراته خاينة هديته وقولتله اتصرف بالعقل، وحطيتله السم في الغدا.. السم اللي هي كانت جيباه وطلعت أنا للدنيا ومكنش قدامي غير عمي عدلي واللي مكذبش خبر وفضل يقول للدنيا وما فيها إني مش ابن أخوه.. صعبت على صابر اللبان اللي شاف فيا إبراهيم ابنه، أقنع أمي إنها لازم تتوب وتشوف تربيتي، وفضل السر ده لحد من سنتين بس، لما اتصاب عم صابر بالمرض الخبيث، حكالي كل حاجة مقابل إني أسامحه ويروح بيت الله صافي وأبيض، الحقد زاد جوايا، ميولي للقتل والتار من العالم تضاعفت، سميتها.. سميت أمي.. سميت عشيقتك قُدام عيني، بنفس السم اللي حطتوه لجمال، بعد ما ماتت قررت إني أنفذ العملية اللي بخطط ليها من سنتين، الجريمة المكتملة الأركان اللي محدش يقدر يمسك عليا فيها شيء، واللي بعد ما تموت هيلبسها جوز بنتك، اللي هي كمان هتترمل بدري بعد ما جوزها يلبس الأحمر.. محدش من اللي مات كان بريء، حتى المرضى اللي قتلتهم محدش فيهم بريء، كل واحد كان عنده أخطاء في حياته من خلال الملفات كان لازم يتحاكم عليها، في محكمة الغربان..

أخرج "محمود" سلاحه وأشهره تجاه حفظي وأكمل كلامه:

- الغراب.. الغراب عنده محاكم وقوانين يا حفظي اللي يخرج عنها يتعاقب..

- طيب أنا هديلك كل اللي نفسك فيه، إنت عايز إيه؟؟

- روحك..

قتلته ورسمت على جسده الوشم وعلى الجثث الأربع التي أمامي، ثم اتصلت بفريد من تليفون عبد الرحمن، وقلت كلمة واحدة بصرخة:

- إلحقني أنا في المقابر..

كان يعلم المكان جيدًا؟

ثم كتبت المقال وربطت الأحداث بحيث لا تنفصل القضية عن كل ما خططته واتهمت الضابط فريد بكل الجرائم، وقبل أن أنشر المقال عبر "الفيس بوك"، اتصلت برقم مستعار أرسلت كل تفاصيل القضية إلى الرائد وائل، والذي وصل المكان بقوات فوجد فريد في دهشة وهو يرى كافة رفاقه مقتولين وعلى جسدهم وشم الغراب..

***

18 ديسمبر 2017

- ورجعنا لحضراتكم تاني وضيف الحلقة الكاتب العبقري صاحب رواية "محكمة الغربان" إبراهيم صابر اللبان، واللي بسبب حبكتها استغلها قاتل في ستار شرطتنا الباسلة.. فريد التهامي واللي كانت في الحقيقة عليه علامات استفهام كتير؟

- هل كنت متخيل يا إبراهيم إن روايتك تأثر في الناس بالشكل ده.

- في بداية كلامي بحب بس أبارك ليك يا أستاذ محمود على برنامجك الجديد، وحابب أقولك إني كنت مؤمن جدًا بس مش للدرجة دي،

وحابب أقول خبر حصري في برنامجك إنت "حكايات محمود أبو الفدا" إن الرواية إن شاء الله هتتحول فيلم سينمائي ضخم، بعدد مهول من الممثلين العظماء..

***

4 أغسطس2020

مرت ثلاث سنوات، وكنت أظن أنني سأرتاح عندما أعلم مَن أكون، كنت أحمق كبيرًا، اعتقدت أن الشهرة ستعوضني عن أشياء كثيرة، اليوم تزوجت إيمان.. الشخص الوحيد الذي آمن بي.

اليوم فقط أشعر أنني رجل أسطوري، ولكني أسطورة الشر المطلق، قالت لي إنني لم أحبها وأنا لم أعشق غيرها، اليوم أفضح قصتي أمامكم.. أنا أكذوبة، خدعت آلاف البشر، كنت أعتقد أنني سأحقق العدالة وأسترد حقي المسلوب، ومثلما عودتكم أصدقائي المتابعين بالنشر لأفظع الجرائم بدون خوف بدون كلل أو ملل، ها أنا اليوم أفضح نفسي للعامة ليرتاح ضميري فقط. ولكن للأسف هذه المرة أنا أشعر بالخوف، بالجبن، بالريبة، في هذة الحكاية المجرم لن يعاقب. لأنني كتبت المنشور في وضعية "أنا فقط" ليرتاح ضميري فقط..

* * * * *

(أراه ليلا)

شخصان فقط هما الشاهدان على ما حدث لي أنا و(فاطمة)، لقد كانت فتاة مختلفة، لا تشبه أحدًا أبدًا، كانت مميزة، ذكية وجميلة وأيضًا غريبة أطوار بشكل محبب، كنا ندرس بالثانوية العامة عندما تعرفت عليها، وكان عامي الأخير قبل أن أنتقل إلى الجامعة أصحبنا أصدقاء، نتشارك أفكارنا وأحلامنا وحتى مخاوفنا، أخبرتها كم أكره الأماكن المظلمة وأخشى العتمة، وأكدت بدورها أنها تهاب ما لا نستطيع إبصاره، ضحكت على حديثها لتعاتبني قائلة:

- مينفعش تتريق على كلامي.. في حاجات كتير مش بنشوفها وكمان بتتربص بينا.

همست لها بشقاوة لتقهقه عميقًا، أجل لقد كنا على وفاق تام، عندما نلتقي الوقت يمضي في لمح البصر وأحاديثنا تنتهي إذا تراسلنا، لقد أحببت كل ثانية قضيناها معًا، مرت الأشهر والسنوات وتخرجت، ثم تعينت في إحدى المصالح الحكومية المرموقة، توفيت أمي وشعرت بالوحدة المطلقة لم يخفف عني أثر الصدمة سوى فاطمة، فأيقنت أن فاطمة هي الفتاة التي ستملأ حياتي وتزهرها، لا شيء ينقصني سواها ، إنها من كنت أنتظر ليكملني، وعاهدت نفسي أنني سأكون الرجل الذي تعتمد عليه، سأكون سندها.

تقدمت لطلب يديها بعد سنة من وفاة أمي وأصبحت خطيبتي رسميًا، شكرت الله كثيرًا فهذا كان أكبر وأجمل مما تمنيته يومًا.

فاطمة كانت تعيش مع والدتها فقط بعدما توفي والدها منذ نعومة أظافرها. أمها تعمل ممرضة وتقضي أغلب وقتها بالمشفى الحكومي، تعمل وردية ليلية ونهارية حسب جدولها، بينما فاطمة فلم تكن قد تخرجت من الكلية بعد، لذا كنا نتحدث مساءً عبر الهاتف ولساعات طويلة، فإن شعرت بالانزعاج أو تعرضت لمواقف سيئة ستتصل بي وتفرغ مكنونة قلبها لأطمئنها واشجعها بعد ذلك، أحببت هذا حقًا وكم وددت حمايتها من العالم أجمع.

ذات مساء اتصلت بي، تناولنا أطراف الحديث وانتقلنا من موضوع لآخر جلست فاطمة أمام التلفاز وطلبت مني أن أشغل نفس القناة، لنشاهد نفس الفيلم سويًا، لأن أمها غادرت للعمل وهي تمل أن تجلس وحيدة بالمنزل، لم أكن أمانع ذلك فأنا أحب مشاركتها كل شيء.

مرت بضع مشاهد من الفيلم لم أعِرها اهتمامًا، فكنت أستمع بترقب للهاتف، مرَّ وقت لا بأس به دون أن تهمس هي بشيء، فقلت لا بُدَّ أنها تشاهد بتركيز، أردت أن أتحدث قليلًا، فأنا لست من هواة التلفاز،

بدأت الفواصل الإعلانية بالبث، لذا تنهدت أخيرًا، أصدرت صوتنا لألفت انتباهها ثم ناديت:

- فاطمة.. فاطمة.

لم ترد عليَ، ناديتها مجددًا:

- يا فاطمة..

ردَّت عليَّ بهمهس غير مفهوم.

- في إيه؟ مش عايزة تتكلمي؟

س ألتها فلم تجبني، وبينما كنت أحاول استيعاب ما قالته لي.. تدفقت أنفاسها السريعة إلى مسمعي، كانت تتنفس وتزفر بعنف، همست لها:

- فاطمة، أنتِ بخير؟

قلقت عليها، ربما تمر بوقت عصيب وأنا لا أعلم أو ربماهذه نوبة بكاء هيستيري، شرعت بالكلام محاولا معرفة ما يجول بخاطرها، لكن تلك الأصوات ألجمتني، أصوات طرقات كثيرة وصاخبة في منزلها، تشبه الضرب على الجدران، هاتفت بجدية وأنا أسألها:

- إيه الأصوات دي يا فاطمة.. ردي عليا..

عم الصمت لثوانٍ، حتى سألتني بهدوء:

- إنت قادر تسمعني؟

- أيوه طبعًا سامع، هو ده مقلب ولا إيه؟ إيه الأصوات اللي عندك دي؟

لتنبس بذلك الهدوء مجددًا.

- دول هما، وصلوا البيت..

شعرت بالتوتر لأن ما يحدث غير منطقي، فقلت لها بتوتر:

- إنتي بتهزري صح؟ من إمتى بتحبي المقالب، الموضوع مبقاش

يضحك على فكرة..

هذه المرة أجابتني بحذر وبنبرة محذرة:

- إوعى تكدب وجودهم، مش بيحبوا ده.

ضحكت بصوت عالٍ، فظننت أنها تمزح، لكن حيلتها لن تنطلي عليّ، في تلك الأثناء وأنا أهز رأسي معجبًا بتمثيلها، لكن هذه المرة تكلمت فاطمة بصوت لم يكن صوتها، أقسم إنه لا ينتمي لها: هيلاقوك..

حينما سمعت هذا الصوت سارت القشعريرة في جسدي ولا أدرك السبب، فلم يكن لي بديل غير أن أكذب أذني وأصدق تمثيلها البارع، أو يكاد من قلقي عليها تخيلت هذا الصوت.

- فاطمة بطلي اللي انتي بتعمليه ده.

قُلتها هذ المرة بشيء من التعصب لكن المكالمة انقطعت قبل أن أنهي حديثي، لماذا تنهي الاتصال دون سابق إنذار؟

اتصلت بها مجددًا لكنها لم ترد، هي ليست بخير حتمًا، شعرت بالاضطراب وهرعت مرتديًا معطفي وغادرت المنزل متوجهًا لشقتها. قدت سيارتي لبضعة أميال لتتوقف فجأة، لقد فرغ خزان البنزين تمامًا.. كيف لم أنتبه لذلك؟

ترجلت وأقفلت السيارة، إنه ليس الوقت المناسب للقلق بشأنها، ولأنني أكاد أن أصل لها في أسرع وقت فركضت ما تبقى من المسافة، لقد كان الوقت عشيًا وبدأت رئتاي تحترقان بسبب برودة الهواء الذي أجبرت على استنشاقه وأنا أركض، وإلى هذا اليوم لا أعلم حقيقة ما رأيت.

أثناء عبوري الطريق، وبالقرب من العمارة التي تسكن بها فاطمة، رأيت أناسًا يعبرون الشارع مبتعدين بخفة، ومشكلين طابورًا واحدًا تلو الآخر، لم أستطع وصف أو تذكّر أشكالهم، فقد اسودت عتمة الليل؛

لذا ربما أنا أتخيل، أضِف إلى ذلك أنني كنت أحاول استعادة أنفاسي، الشقة في الدور الأرضي وفور بلوغي إلى الباب، ضغطت الجرس منتظرًا، ثم وضعت يدي على المقبض فوجدته مفتوحًا.

دخلت على عجل أنظر حولي وأنادي باسمها، لأبصرها جاثمة على أرضية غرفة المعيشة وبشرتها مصفرة بشكل باهت، كأن الدماء شحبت من جسدها، وعينها تحدق بمكان واحد، ظلت ترجف بقوة وأنا أعلم أنها لا تعاني أي نوبات من الصرع، فلم يسبق وأخبرتني بهذا مطلقًا؟، هرعت إليها قائلًا:

- فاطمة.. بصيلي في ايه؟ إيه اللي حصل..

هززت كتفها، وصفعت وجنتيها بخفة فلم تجب، حملتها من الأرض واتجهت بها لأقرب سرير في الغرفة المجاورة لأضعها برفق، ووقفت متحدثًا بهلع.. كنت لا أعرف ما سيتوجب عليّ فعله، هل اتصل بوالدتها؟ أم أخذها للمستشفى؟، فالتوتر يفقدني تركيزي، فجأة رأيت عينها وهي تتبع شيئًا ما خلفي.. عيناها تتحركان ببطء إلى أن ثبتت أنظارها خلف ظهري مباشرة، اتسعت عيناها وبدأت ترتجف مجددًا، فتحت فمها كأنها تصرخ لكن لا صوت يغادر حنجرتها، الآن جزء مني يخبرني أن لا أستدير للخلف مهما كلفني الأمر، لكن الفضول الذي يعتريني جعلني ألتفت رويدًا رويدًا، إلى أن وضعت بصري على شيء ما يقف عند باب الغرفة.

فوجدت شيئًا أسود الكيان، تكاد لا تميز جسده بالرواق المظلم، لكن عينيه كانتا كافيتين لتدلا على وجوده..

بياض عينيه ناصع بشدة وسواد مقلتيه وهو يحدق بي، كان أكثر شيئًا مرعبًا عشته بتلك اللحظة، بدأ يقترب ولم أستطع ملاحظة طريقة سيره، فهو يمشي كالظلال، بدا شكله بشريًا، لكنه لم يكن كذلك، بخفة وببطء بدأ يسير نحوي، تجمدت الدماء بعروقي وتسارع نبضي وبدأت أتلو آيات أستنجد بالله، هذا يفوق طاقتي البشرية، رأيته وهو

يقترب مني وبطرف عين أصبح فوق رأسي، ينحني ويدنو من وجهي كأنما طوله ازداد أضعافًا. فقدت القدرة على الكلام، شُلَ لساني وتكاثف الضباب بعياني، حتى وقعت على الأرض مغشيًا.

استفقت بعد ساعة لأجد نفسي في المكان ذاته وفاطمة تجلس على السرير مستغرقة بالتفكير وتنظر للفراغ، حمدت الله أن والدتها لم تصل البيت بعد، ناديتها بعطف وأنا أقوم متجهًا صوبها، انتفضت بخوف والتفتت ترمقني بدهشة:

- إنت دخلت هنا إزاي؟ وجيت إمتى؟

هل..؟ هل نسيت كل ما حدث، ماذا عن تلك الكدمات الزرقاء التي حلت على ذراعيها، رددت سؤالها لكنني الزرقاء التي حلت على ذراعيها، رددت سؤالها لكنني كنت أكثر اندهاشًا أنا الآخر، أنا أتذكر ما حدث لكن ليس بوضوح، فالصور بعقلي ضبابية ومشوشة، كما أنني لا أؤمن بمثل هذه الأشياء.. نعم أؤمن بالجن لكن بالحياة الواقعية لا تحدث الأمور التي تُسرد بحكايات الرعب تلك، أو ما نسمعه من أحاديث من جانب الناس والكتَّاب، أنا أجزم أن مواقف كهذه أن حدثت فهي مجرد هلاوس لا أكثر، أما فاطمة فهي تمر بحالة نفسية غريبة فقط.

مرت أيام على تلك الحادثة وفاطمة لا تتذكر ما حدث رغم محاولتها، لكنها كانت ترغب بإخباري بشيء طيلة الوقت، وأفصحت عنه في النهاية:

- أنا بشوف وبسمع كائنات غريبة من ساعة ما ارتبطنا يا عصام، كائنات بعضها بيتكلم أو بيبص علينا بس، بيقولوا إن الأشخاص في عالمهم مش بمنتهى السوء اللي إحنا متخيلينه، بس جزء منهم مؤذي جدًا وجواه شر خالص، كمان حذروني من الكيان الإسود الطويل، قالوا إنه عايزني ليه لوحده، وإنه هيئذيني جدًا لو خالفت ده، وإني لازم أبعد..

- تبعدي عن إيه يافاطمة؟

لم أستوعب كل حديثها، أخبرتني أنها رغم محاولتها لتحصين نفسها بكل الوسائل، إلا أن الأمر لا يفلح، وكلما اجتهدت بالعلاج الروحاني، كلما ساءت حالتها أكثر.. أنا أحبها بشدة، رغم كل ضروب الجنون التي تفوهت بها ورغم حياتها الغامضة، إلا أنني لم أفكر ولم أرغب بالتخلي عنها يومًا، بل أرغب في الوجود من أجلها وفقط معها.. وددت لو سحبتها بعيدًا عن كل ألم يراودها، أردت أن أساعدها ولم أدرك أبدًا أن وجودي حولها هو سبب أذيتها.

دامت علاقتي مع فاطمة ثلاث سنوات فيها كنت قد علمت كل شيء عنها، كيف أتعامل معها حين تتعرض لمواقف مثل تلك، أمها تثق بي كثيرًا وتشكر الله بأني هنا كشخص يهتم ويحب ابنتها بهذا القدر، تعتمد عليّ وتتمنى أن أكون سبب في تحسنها لتعود محبة للحياة كما كانت سابقًا، رأيت أن فترة خطوبتنا قد طالت أكثر من اللازم، لذا سألتها راغبًا بمعرفة رأيها بتعجيل زفافنا، ولم أتوقع أنها ستشعر بسعادة عارمة وهي تجيبني بالقبول، في ذلك اليوم تسوقنا معًا واشترينا بعض الأشياء ثم قصدنا مطعمًا بعد أن فرغنا.

تذكر انك حملت رواية محكمة الغربان حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والنادرة والجديدة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك.

جلست مقابلًا لها لتبتسم وتحنو برأسها محدقة بالأسفل ثم عادت بنظرها إليّ، لكنها لم تكن تنظر إليّ بل لما يوجد خلفي، تسمرت ملامحها وجفلت، فقلت في نفسي: "لا ليس مجددًا.. لقد كانت الأمور بخير"، استدرت خلفي ولم أجد شيئًا، فنقلت بصري إليها محاولًا تشتيت انتباهها:

- متبصيش لأي حاجة، بصيلي أنا بس.. مفيش أي حاجة حقيقية من

اللي بتشوفيها، افتكري كلامي كويس، كل ده جوه دماغك إنتي بس.

غادرنا المكان وأوصلتها لبيتها ثم عدت لمنزلي، كنت مجهدًا جدًا، لذا أخذت حمامًا ساخنًا ثم اتجهت فورًا لأخلد إلى النوم. استلقيت على السرير وتثاقل جفناي، فغفوت بعمق وفجأة انتفضت بجزع، وأنا أسمع صوت ستائر النافذة تهتز، ضوء الغرفة كان خافتًا ضئيلًا، فتحت عينيّ بهوادة، أنظر للسقف ولكني لم أرَ السقف..!؟ بل رأيت ذلك الأسود صاحب العينين الجاحظتين يقف فوق رأسي، يضع يديه وأحكم القبض على رقبتي يخنقني حتى الموت، شعرت أنني سأفارق الحياة هلعًا وليس مختنقًا، لم أتحمل أكثر فامتلأت عيناي بالدموع، ثم اسودت الدنيا من حولي لأغرق بعالم قاتم.

استيقظت صباحًا وعاد بي قطار ذاكرتي لليلة الماضية، ظننته مجرد كابوس، لكنني وجدت جرحًا طوليًا على ساعدي الأيمن، وكدمات زرقاء حول رقبتي، عقلي في تلك اللحظة لم يفكر بشيء سوى فاطمة فقفزت من مكاني مسرعًا للهاتف، اتصلت بها لكنها لا تجيب.

ذهبت إلى منزلها مسرعًا، فتحت أمها الباب وقبل أن أتفوه بشيء، قالت لي:

- فاطمة مش عايزة تشوفك من النهارده.. كل شيء قسمة ونصيب يا ابني.

ماذا!؟ وقبل أن أبدأ بالكلام أغلقت الباب بوجهي.. ما الذي يعنيه هذا؟ طرقت الباب مجددًا ولكنها لم تفتح، عدت أدراجي حائرًا، أنتظر اتصالًا منها طيلة الأسبوع لكن لا أخبار عنها.. حتى إنها لا تفتح حساباتها في مواقع التواصل الاجتماعي "واتساب، فيسبوك، إنتسجرام"، لا ترد على رسائلي ولا مكالماتي.. والطامة الكبرى أنني علمت أنهم انتقلوا من ذلك المكان، لم أعلم بذلك إلا مؤاخرًا، لقد تحطم قلبي تمامًا، وشعرت بروحي تفارق جسدي.

مرّ عامان وأنا أبحث عنها مكسور الفؤاد، حتى صادفني ذلك اليوم،

وجدتها ناشطة على صفحة الفيسبوك خاصتها، ارتجفت شوقًا ولم أستطع التحكم بيدي المرتعدتين، راسلتها دون تريث وانتظرت الرد منها، ردت بسرعة وقالت:

- إنت متعرفش إنت عملت فيا إيه لما سبتني.. أنا مش فاكرة أي حاجة غير إني فضلت أبكي كتير في حضن ماما.

استغربت كلامها، نحن لم نتحدث قرابة العامين، ولمأنفصل عنها بل هي من فعلت هذا..؟ تحدثنا مطولًا بالهاتف لكنها لم تكن تتذكر شيئًا من ماضينا معًا، أغلب الأحداث التي تتذكرها لم تحدث معنا مطلقًا، فقط تتذكر أننا كنا مخطوبين، سألتها إن كانت لا تزال تري تلك الأشياء؟ قالت:

- إيه اللي بتتكلم عنه ده؟ تقصد إيه؟

سألتها مجددًا:

- لسه موجودة معاكي..

أجابت مستغربة:

- مش فاهمة بجد إنت بتتكلم عن إيه؟

غرقت بدوامة سوداء من الحيرة والذهول وكأنها مصابة بانفصام. التقينا بعد ذلك ولم تتعرف علي..!؟ وبقدر ما كنت مشتاقًا لها حتى السماء بذلك القدر وقعت للأسفل، سحق قلبي أرضًا، نسيت كل شيء حرفيًا عدا أننا في يوم ما كنا مع بعضنا البعض، هه بل أمها من أخبرتها أنها كانت مع شخص تحبه ثم انفصلا، وذلك الشخص هو أنا.. وجعلني هذا في تساؤل إن كانت فاطمة مصابة بالانفصام..

"فيا ترى لماذا لا زلت أرى ذلك الرجل الأسود كل ليلة تخطر هي ببالي؟، لماذا لا يزال يتوعدني بالموت كلما استدعيتها بذاكرتي؟.. هل لأحد منكم جواب؟، هل حدث ذلك مع شخص سابقًا.. أم فقط معي..؟

أنا أكاد أجن.."

*****

(أسمع همساتهم)

بينما أنت تقرأ هذا الآن، هناك أشياء غير مرئية تقرأه معك، لا تجزع ولا تخف، لأنك إن فعلت.. فأنت ستمنحهم إشارة خضراء ليبداوأ بإدخال الوساوس إلى عقلك، أكمل معي ولا تخف..

منذ ساعة فقط وصلت إلى باب شقتي وأثناء إغلاقي للباب، لمحت شخصًا يركض للحمّام..! المشكلة أنني أعيش مع عمتي وهي امراة قعيدة تجلس طيلة وقتها على كرسي متحرك، خطوات ذلك الشخص لم تكن آدمية على الإطلاق، ولكن لم يكن هذا مصدر قلق لي.. المرعب في الأمر أن باب الحمام موصد قرابة الساعة ولم يخرج منه أي شخص.. أتعلم ياصديقي من كثرة الأمور المرعبة التي حدثت لي والتي شاهدتها بعيني.. جعلتني متبلد المشاعر، لدرجة أنني لا أعرف كيف أبدأ قصتي لك، ولكن اجعلني أمهد لك الأمر..

عند بلوغي سن العاشرة توفيت أمي، والفكرة السيئة في هذا الأمر هو اقتراح والدي أن أمكث في منزل عمتي (عائشة) وهذا كان بسبب عمل والدي خارج البلاد، أتعلم لماذا تلك الفكرة سيئة...؟ لأنني منذ صغري أرتعد من عمتي، أهابها رغم طيبتها، فهي سيدة غريبة الطباع، لم تكوّن صداقات حتى في حيها السكني، أغلب الجيران يعتبرونها مريضة نفسية، هذه الفكرة تكونت نتيجة أمي، كانت لا تحبها وتخشى حتى زيارتها رغم محاولات والدي المتكررة..

"أنا مش هروح لأختك يا رمزي، عايشة أختك مريضة نفسية ولازم تتعالج، وأرجوك.. أرجوك متاخدش عاصم"

فكان دائمًا يرد عليها

"أختي مش مجنونة يا مروة، أختي اتعرضت لصدمة ولازم أقف

جنبها، وابني لازم يود عمته ويجي كل زيـارة"

أمي دائمًا ما كـانت توصيني في كل زيـارة.

"عاصم يـا حبيبي، إوعى تـاكل من هنـاك، إوعى تاخد أي حـاجة، قولي إنت نفسك في إيه وشُفته عندها وأنا هديهولك".

والدي كـان يحب أخته كثيـرًا ويقدر حـالتها، وهذا بسبب فقدانها لزوجها وطفلها في حـادثة بشعة، ويظن أن هذه الصدمة أثرت على عقلها قليلًا وجعلتها مدمنة للدمى، وخصوصًا (بيـلي) هذه الدمية اللعينة المقربة لعمتي، أتعلم لمـاذا..؟ لأن بيلي كـانت لعبة ابنها (سميـر) المفضلة، عمتي أصبحت مدمنة لتلك اللعبة، في كل زيـارة أراها تتحدث للدمية؟ وتجعلها تجلس معنا حتى على طـاولة الطعـام.

"بيلي سلم على خـالك رمزي، وابن خـالك عـاصم"

والدي يكتفي بالابتسـام ويحاول جاهدًا تجاهُل الأمر، ويجعلني أغـادر الجلسة طالبًا مني أن أشـاهد التلفاز في الردهة.. أحيـانًا أبصر لوالدي فأجده يصرخ فيهـا وأحيانًا يتحدث بلين وعطف، نجلس معها قرابة السـاعة ونتركها بمفردها.

ولكن كل هذا تغيَّـر منذ وفاة أمي، كنت لا أعلم شعورالفقد حينهـا، ولكني أتذكر بكـائي المستمر وأنتظر طرق باب منزلنا بشغف متمنيًا أن تكون أمي قد جـاءت من سفرها في السماء كما يزعمون، مرت فترة وجيزة حتى وجدت أبي يلم أغراضي في حقيبة كبيـرة ويوصلني لعمتي.

- عـايشة أنا خلاص مسـافر، ابني هيبقى معاكي، هبعتلك كل شهر زيـادة عن اللي كنتي بتاخديها والضعف، إوعي يـا عايشة تحرمي عـاصم من حـاجة.

لن أنسى مُطلقًا فرحة عمتي العارمة بهذا الخبر، عكسي تمامًا، لم أكن

سعيدًا.. نصائح أمي أسمع طنينها في أذني:

"عاصم يا حبيبي، إوعى تاكل من هناك، إوعى تاخدأي حاجة، قولي إنت نفسك في إيه وشفته عندها وأنا هديهولك".

أتساءل كيف؟.. كيف سأعيش مع هذه السيدة، ولماذا أمي كانت تخشاها بتلك الدرجة، ولكني لم أتخيل أن تكون الأمور أسوأ مما اتخيل.

بعد مغادرة والدي للشقة، رأيت عمتي تبتسم للدمية بيلي وتقول:

- إنت وسمير هتحبوا عاصم ابن خالك أوي..

كنت جالسًا على كرسي خشبي في الردهة، لم أتحرك حينما اقتربت مني وقالت:

- تعالى يا عاصم أعرفك على بيتك الجديد.

سِرت معها بحذر شديد، ظلت تعرفني على الغرف والدمى، دمى قديمة ومهترئة رائحتها نتنة، مكانها الصحيح هو سلة القمامة، ولكنها ظلت تعرفني عليهم بمنتهى الحماس والشغف:

- دول كلهم أصحاب سمير، بس أهم صاحب ليه يا عاصم هو بيلي..

أخذتني في جولة لغرفتين وعند الغرفة الثالثة والتي كانت موصدة بمفتاح معدني قالت:

- دي بقى أوضة سمير، مش بيحب حد يقعد فيها نهائي، إوعى تدخل إلا بأمر مني، أما باقي البيت فهو بتاعك يا عاصم.

فتحت غرفة سمير بالمفتاح، ووضعة الدمية بيلي على السرير بهدوء شديد، أبصرت في الغرفة فوجدتها مليئة بالألعاب والدمي وتفوح منها رائحة بخور شديد، كنت أمكث خارج الغرفة أراقب الأمر، حتى خرجت وهي واضعة إصبعها على فمها وتقول:

- ششش بيلي وسمير هيناموا دلوقتي.. تعالى أوريك أوضتك.

دخلت غرفتي برفقتها، غرفة هادئة جدًا، أشارت لي على سريري واصطحبتني إليه ثم أغلقت الأنوار وانطلقت إلى غرفتها وأغلقت الباب، أتعلم؟ هي أصعب ليلة قضيتها في حياتي، فلم أكن أعتاد على النوم خارج سريري، أحاول إقناع عقلي بمنزلي الجديد وقطار النوم رافض المرور على عيني، وفي تلك اللحظة بالتحديد، سمعت خطوات أقدام تسير في الصالة، وصوت طفل يضحك بهيسترية، الخطوات أصبحت ركضًا.. ركض مستمر لمدة دقيقتين وجسمي قد نمل من كثرة الارتعاش مع كل قهقة آتية من الصالة، بصعوبة بالغة رفعت الغطاء فوق رأسي، حتى تثاقلت جفوني وغلبني النعاس.

استيقظت في اليوم التالي على صوت عمتي:

- يلا يا عاصم الفطار جاهز.

واكتشفت مؤخزا أن كل شيء تفعله عمتي يستوجب مصاحبة بيلي حتى إنه له كرسي مخصص على طاولة الإفطار..! وهنا بدأت التركيز في هذه الدمية، كانت بحجم طفل رضيع تقريبًا، عينه غريبة وابتسامته أغرب حتى إنها تشعرني بالفزع، خصوصًا أنها تركز في عيني، أو هكذا بدا لي الأمر، عمتي عائشة لاحظت ذلك قائلة:

- ما تاكل، إنت هتفضل باصص لسمير كتير!

وببراءة الأطفال جاوبتها:

-هو اسمه سمير ولا بيلي؟

أتذكر توترها، أتذكر صخبها من سؤالي قائلة:

- أأ.. أأ.. أقصد بيلي، اسمه بيلي.

- هو إنتي كنتي في الصالة بتضحكي إمبارح يا عمتو؟

نظرت للدمية بغضب ثم أجابت:

- آه.. كنت مبسوطة شوية.

- بس ده كان صوت طفل..

ازداد توترها وأخرجت على هيئة صراخ لي:

- كل يا عاصم.. كل وكفاية أسئلة، متقعدش تسألني كتير.

قالتها ناظرة للدمية بحذر شديد فأخذت رغيف الخبز وأنا صامت تمامًا. مع الوقت بدأت أتأقلم قليلًا، وعمتي أخبرتني بعدة قواعد صارمة يجب عليَ اتباعها حتى لا تغضب مني، قواعد كثيرة تتغير باستمرار حتى إنني لا أتذكر إلا بعضها.

"ممنوع الخروج من غرفتي لأي سبب بعد منتصف الليل، حتى إذا رغبت الذهاب للحمَام فمن الآمن لي أن أنتظر للصباح، ممنوع فتح غرفة سمير في أي وقت من اليوم، ممنوع التحدث مع أي شخص عن الدمى التي تقطن في المنزل، ممنوع الجلوس بمفردي إلا في فترة النوم".

تلك هي القواعد التي نشأت عليها في منزل العمة، نشأت على صوت صراخ وخطوات وضحكات، يبدأ من الواحدة بعد منتصف الليل وينتهي قرابة الفجر، لم أكن فضوليًا لمعرفة مصدر هذه الأصوات فقد اعتدت عليها ولا أحاول الجدال مع عمتي بخصوصها، ولكني كبرت وأنا أعلم أن هذا المنزل مسكون بشيء غامض ولا أعرف مصدره.

عند بلوغي الخامسة عشرة، أصبح الأمر أشد خطورة، فعند وصولي لسريري ذات يوم شاهدت طفلًا صغيرًا يقف على باب غرفتي، يمد لي يده وعندما حاولت النهوض، ضحك وجري كأنه يلعب معي، فركضت وراءه ولكني لم أعثر على أحد، طرقت باب عمتي، فتحت فقُلت لها مستغربًا:

- في طفل صغير كان بيبص عليًا في أوضتي.

ولأول مرة أشاهد العمة تفزع بتلك الدرجة وتركض باحثة عن شيء ما في دولابها، كانت سلة من المفاتيح، ثم اتجهت لغرفة سمير والتي وجدت بابها مفتوحًا على مصراعيه، فلطمت قائلة:

- نسيت.. نسيت أقفل الباب بالمفتاح، خش أوضتكوأقفل عليك..

فعلت ما أمرت به، ولكني سمعتها وهي تتكلم عبر الهاتف قائلة:

- والله نسيت.. والله آسفة مكنتش أقصد، أرجوكي تعالي هديكي اللي إنتي عايزاه.

بعد ساعة تقريبًا طرق باب البيت، فتصنتّ على عمتي وهي تتكلم لامرأة تصرخ فيها وتلعنها لعدم غلقها للباب، سمعت تلك الليلة ما لا أريد سرده، للغة غير مفهومة وأصوات الضحكات والهمسات تملأ أرجاء البيت، ركضت لسريري وسحبت الغطاء فوق رأسي كعادتي من فرط الرعب وأنا أسمع السيدة تقول:

- المرة الجاية فيها موتك يا عايشة، محدش هينفعك..

بعد ذلك اليوم، كل شيء في المنزل تغير 180 درجة، عمتي مدمنة الدمى أصبحت تكره بيلي لدرجة أنها وضعت ثلاثة أقفال حديدية في غرفة سمير واضعة بيلي هناك، بل الأسوأ أصبحت تخاف أن تمر من ناحية الغرفة، كل شيء اختلف، البيت أصبح أكثر هدوءًا، لم يعد هناك أصوات ضحكات، بدا الأمر لي غريبًا، لمَ التحول بهذه الطريقة؟.. وما مصدر خوفها المفاجئ من الدمى..؟

كبرت وأصبح عمري اثنين وعشرين عامًا، ومازالت غرفة سمير موصدة، ولكن توجد بعض التغيرات في المنزل، أصيبت عمتي بجلطة دماغية مما أدى لشلل في قدمها، وأصبحت أنا من أتولى أمرها وخدمتها، أصبحت تحبني وتحزن حينما أفارقها لساعات معدودة

خارج البيت، نسينا أمر الغرفة تمامًا.

ولكن منذ أسبوع فقط، خسرت كل شيء، فكنت أجلس مع رفاقي ونتكلم عن أفظع المواقف المرعبة التي مررنا بها، أستمع لهم جميعًا في صمت تام ولا أود المشاركة حتى تكلم أحدٌ منهم يدعى (ممدوح) قائلًا:

- أنا شايفك ساكت يا عاصم من أول القعدة.

تكلمت بهدوء:

- لأن لو حكيت طفولتي بس، أعتقد إن شعركوا هيشيب..

رمقوا بعضهم البعض بنظارات ساخرة، حتى طلب مني ممدوح الحكي، فقصصت لهم بعضًا من قصتي أنا وعمتي، الغريب أن القصة قَبلت باستهزاء والكل أخذ يضحك ماعدا ممدوح، يقولون إن خيالي واسع، حتى أنهيت الحوار وغيرت الموضوع تمامًا، وأثناء مغادرتنا اصطحبني ممدوح وقال:

- تعرف إني مصدقك يا عاصم.

نظرت له مستعجبًا وقُلت:

- مصدق إيه!!

- عمتك.. عمتك يا عاصم والعرايس.

- حسيت ده من لمعة عينك بس أحرجت أسألك ليه؟

- عمي كان راقي شرعي وكان دايمًا بيقولنا إن العرايس أحيانًا بتسكنها الشياطين، وفي حالات عالجها ولقى معمول سحر وأعمال جوه عرايس في البيت..

- ما علينا يا ممدوح الموضوع ده قديم..

- يعني بذمتك مش نفسك تفتح الأوضة وتشوف العروسة دي إيه

حكايتها؟

- الحقيقة.. آه.

- يبقى ليه لا..

عمّ الصمت طويلًا، فودعته وكلّ منا سلك طريقًا مؤديًا لمنزله، دخلت شقتي ومررت من أمام غرفة سمير، عمتي علمت بوجودي فقالت:

- إنت جيت يا عاصم..؟

- أيوه يا عمتي.

- طيب تعالى حطني على الكرسي، عايزة أتحرك..

ذهبت وفعلت ما أمرتني به، ثم تحدثت معها لوقت قصير واستأذنتها لشعوري بالإرهاق الشديد، مررت مرة أخرى بجانب غرفة سمير، اعتلاني فضولي وكلام ممدوح ظلّ يطاردني في فراشي، أفكر في حديثه طيلة المساء، أسترجع ذكرياتي، وأتساءل لمَ اختفى صوت الضحكات؟ أتذكر كلام السيدة التي أمرت بإغلاق الباب بإحكام وإلا الموت لعمتي، القواعد الصارمة التي وضعتها عمتي..؟ كل ذكرياتي بدأت تجول بخاطري، فوجدت نفسي أمسك هاتفي وأتصل بممدوح:

- أنا موافق..

في الليلة الموالية كنت قد وضعت المخدر لعمتي في الشاي، وحينما تأكدتُ بنومها، فتشت في الدولاب لأكثر من ساعة حتى وجدت غايتي، كان مفتاح غرفة سمير، اتصلت بممدوح، وبعد قرابة الساعة وصل ممدوح ودخلنا الغرفة.

استنشقنا رائحة البخور التي تملأ أرجاء الغرفة، وأنا أحدق بالغرفة المغلقة عني منذ أكثر من 12 عامًا، ممدوح ظلّ يرمق الدمى باستغراب، حتى وصلنا للسرير، الدمية بيلي كانت ملقاة عليه، فهمست بهدوء شديد:

- هي دي العروسة الغريبة..

أمسكها وظلَّ يفحصها ثم فجعني قائلًا:

- العروسة دي مسحورة يا عاصم..

- عرفت منين؟

- بص الأخرام الكتير دي.. وبعدين دي عروسة بالية وقديمة، بالإضافة للقصة اللي إنت حكيتها، إلا لو كنت بتكذب عليا!

- والله العظيم ما كدبت في حرف، ده اللي كنت بشوفه وأنا صغير..

- يبقى خلاص تعالي معايا وأنا عارف العروسة دي هنرميها فين.

أغلقت باب الغرفة بإحكام شديد، وحملت الدمية بيلي والتي كنت أستعجب من وزنها الثقيل، حتى سألت ممدوح:

- احنا هنروح فين؟

- المقابر..

- ليه..؟

- لازم نرميها هناك يا عاصم..

وافقت مجبرًا، حفر ممدوح قبرًا صغيرًا، حتى اشتعل فضولي وخطرت لي فكرة قبل أن أدفنها في القبر:

- ممدوح.. إنت مش بتقول عمك كان بيلاقي جوه العرايس أعمال؟

- أيوه.

لم أنتظر كثيرًا، وأمسكت بالدمية ومزقتها، ولكنها كانت أسوأ فكرة خطرت على بالي، جرى الدم في عروقي إثر ما شاهدته، داخل الدمية تواجد الكثير من العظام، عظام لطفل صغير. رميت الدمية خوفًا، حملها ممدوح من الأرض وأكمل تمزيق قماش رأس الدمية فوجدنا

جمجمة لرأس طفل صغير.. من أثر الصدمة وقعت على الأرض، أهذا حقيقي؟ عمتي أخذت جثة الطفل ووضعتها في دمية؟؟

كنت أسمع صوت استعاذة ممدوح بالله، ويلعن عمتي عائشة وأنا في حيرة.. ألهذا السبب كانت دومًا تتحدث مع الدمية مناديةً له بسمير. وضعنا الدمية في المقبرة وأنا غير مصدق لفعلة عمتي.

ومنذ ساعة فقط وصلت إلى باب شقتي وأثناء إغلاقي للباب، لمحت شخصًا يركض للحمام.. المشكلة أنني أعيش مع عمتي وهي امرأة قعيدة تجلس طيلة وقتها على كرسي متحرك، خطوات ذلك الشخص لم تكن آدمية على الإطلاق، ولكن لم يكن هذا مصدر قلق لي.. المرعب في الأمر أن باب الحمام موصد قرابة الساعة ولم يخرج منه أي شخص.. كنت أمكث في الصالة والتي مطلة على الحمّام مباشرة وأنا أشاهد خيال شخصٍ ما في الحمّام، وهنا قررت أن أتحرك وحاولت الذهاب لغرفة عمتي لأطمئن هل استفاقت أم لأ.. وعندما وصلت إلى باب غرفتها شعرت أن جسدي لم يعد قادرًا على حملي من شدة مفاجأتي.

لم أعلم هل أصرخ؟ هل أبكي؟ لساني قد شُل تمامًا.. أما قدماي فغير قادرتين على الحركة، عمتي عائشة مشنوقة ومعلّق جسدها في مروحة السقف.. رجعت للخلف بخطوات بطيئة وما زاد الطين بلة أني رأيت غرفة سمير بابها مفتوح على مصراعيه، وتخرج منها همسات وهمهمة.

تقدمت ناحيتها فوجدت الدمية بيلي..! الدمية بيلي ممزقة وموضوعة على السرير، وفي تلك اللحظة سمعت صوت صرير باب الحمّام، فنظرت خلفي لأجد خيالا لطفل واقفًا على عتبة الحمام، عينه تشع بالنور برغم العتمة في الحمّام، وتصدر منه ضحكة مرعبة وهو يقول:

- إوعى تدخل أوضتي تاني إلا... بأمر مني..

*****

المزرعــة

أتعلم؟.. لقد مرت على عينيَ مئات المواقف والأحداث المرعبة سـابقًا، ولكن ليس بسوء هذا الأخيـر، إليك نبذة مختصرة عني..

قبل أسـابيع مضت، شـارفت على الإفلاس فبعد كل شيء علمت أن العمل كقاتل مـأجور لا يـأتي بتلك المزايا الجيدة على الدوام، وعلى ذلك الحـال الميؤوس منه، كنت مستعدًا أن أقبل أي مهمة أكلَف بهـا، وفعلًا حصلت على مبتغاي، بعد حوالي أسبـوع تـلقيت أمرًا بتنفيذ مهمة، إزهاق روح مقـابل عشـرين ألف دولار، رجل واحد وبدون فوضى أو متـاعب جانبية، لقد كـان مجرد أرعن طـائش، أو على الأقل هذا ما أبلغوني به، الشخص الذي عرض عليّ هذه المهمة بدا وكـأنه أكثر تحفظًا وسرية، عكس زبائني المعتادين، لقد اعتد على الأسماء المستعارة لي ولزبائني، ولكن هذا لم يستخدم اسمًا مزيفًا واستكفى بأحد الحروف الأبجدية، لكن قُلت في نفسي: "ومـا الفرق؟ إنه نفس الشيء أليس كذلك؟، وقطعًا لا يملك اسمًا للشخص المراد التخلص منه"، لقد كان يلقبه "رجل الظل"، وقول هذا يبدو أكثر غرابة حتى، ولكن هذا شأنه الخـاص.

قابلت ذلك الشخص في أحد المقاهي، رجل أربعيني خمري البشرة، من ملابسه وسجائره علمت أنه ينتمي لعائلة أرستقراطية، فأنا خبير بالأشخاص، لم تدم الجلسة أكثر من نصف ساعة، اتفقنا فيها على كافة التفاصيل وأخبرني عن المكان مع صورة للشخص المطلوب اغتياله، شعرت من كلامه عن حقد دفين لذلك الشخص.. أرسل لي شيك بـعشـرة آلاف دولار مقدمًا، ووعدني ببقية المبلغ أحصل عليه عند إتمام المهمة.

على أي حـال بدأت القيـادة متجهًا نحو العنوان الذي أبلغني به، كان بيتًا في مزرعة شبه مهجورة من السكان، وكـان من المفترض أن يكـون الهدف هنـاك، أعلم أنه يجب أن أكـون متواجدًا في المكـان عند

منتصف الليل تماماً، لذا وصلت مبكرًا قرابة العاشرة ليلًا حتى أجهز للعملية.

شحنت الأسلحة خاصتي وكانت أثقل من المعتادتحسبًا فقد يكون الرجل مسلحًا ومدربًا وهذا الأمر مرجح، لأن الزبون كان على استعداد لدفع الكثير لقتله، شرعت بتعبئة الخرطوش وألحقت كاتم صوت بها وسكين فراشة وبعض خواتم المفاصل الحديدية إن اضطررت للاقتراب أكثر، في الحقيقة لم يكن هذا كل شيء أحضرت معي قنبلة يدوية لم أكن أعلم إن كنت بحاجتها ولم أرغب باستخدامها حقًا، لقد كان تحسُبًا فقط إن تفاقمت الأمور.

وصلت البيت وتواريت عن الأنظار واختبأت بشكل جيد بين طيات ظلام حديقة المنزل القاتمة، ومكثت مترقبًا هناك حتى حل منتصف الليل، وحوالي الساعة الثانية عشرة وإحدى عشرة دقيقة أغلقت الأنوار وفتحت أبواب الشرفة الصدئة لتصدر صريرًا حادًا، خرج منها شخص فنظرت من عدسة المنظار لترصد عيناي جسدًا فارع الطول مديد القامة بشكل غير طبيعي!.. يرتدي سترة ثقيلة، ووفقًا للمواصفات التي زودني بها فإنه هو الرجل حتمًا، الشيء المريب بالأمر أنه كان يتحرك على عجلة من أمره، يخطو بسرعة وكنت بدوري عاجزًا عن أخذ زاوية جيدة للتصويب، لم أكن أرغب بالمخاطرة وكشف مخبئي، دخل الرجل مسرعًا وكان يركض، لا يبدو عليه أنه مسلح وهذا ما جعل جسدي يسترخي قليلًا.

حدقت بتمعن فوجدته اختفى عن مرمى بصري، فتقدمت للباب البيت ببطء، الغريب أنني وجدت باب البيت مفتوحًا؟.. فتحت الباب بهدوء شديد، المكان الذي ولجت إليه كان يعمه السواد، فأنا أقف في الصالة ولا أبصر كف يدي وإن كانت مبسوطة أمام عيني، لكنني أتجهز لمثل هذه الظروف.

وضعت نظارة الرؤية الليلية وشرعت أخطو للأمام، ليتضح لي أن

الصالة تؤدي لرواق منبسط، وإلى حدود تلك اللحظة لم أكن أرى ذلك الرجل، قفز إلى ذهني سؤال غريب: "كيف يمكن لرجل العيش في هذا السواد الحالك بحق الجحيم؟".. قطع شرودي صوت صراخ حاد، ينبثق من نهاية الرواق، بخفه هرعت إلى الأسفل حذرًا متسللًا، واختلست النظر يمينًا ثم يسارًا، فالرواق كان ذا اتجاهين متفرعين بنهايته، الصراخ حتمًا كان يأتي من غرفة ما على الجانب الأيسر، لكن عندما خطوت نصف المسافة متجهًا توقف الصياح وخيم الصمت، تراخت خطواتي وتريثت عن السير، ومن حيث لا أدري وفي تلك اللحظة طار جسد من الغرفة بشكل صاعق، شارفت على الصراخ منصدم فأملأ المكان بالعويل، لكنني تحكمت بنفسي، بقيت أحدق بذلك الجسد والذي يبدو بفتاة في ريعان شبابها.. اصطدمت بالحائط أمامي ارتدت بقوة شديدة ثم انغرس وجهها في بلاط الأرضية، شعرت بالغثيان عندما سمعت صوت عظام وجهها وهي تتهشم.

أخرجت سلاحي واقتربت من الفتاة ونظرت عن كثب فوجدت أن إحدى ساقيها قد سحقت تمامًا كأن شيئًا ما قد أمسكها وطحنها بيديه، كنت أستطيع سماع خطوات في أحد المدخلين، متقدمة إلى الرواق.. شعرت بتوتر شديد، لم أكن جاهز للهجوم حتى.

انسحبت بهدوء نحو المخرج الرئيسي، ثم اتخذت موضعًا وصوبت خرطوشتي نحو دهاليز الرواق منتظرًا، كنت أجزم أنه لن يستطيع رؤيتي من هنا، نبضات قلبي تتسارع مع كل خطوة كان يخطوها ذلك الرجل، لقد كان يقترب أكثر فأكثر، ثلاث خطوات، اثنتين..

فور أن أصبح بمرمى بصري ضغطت على الزناد دون تريث وأفرغت كل الطلقات به، لطالما كنت بارعًا ودقيقًا بالتصويب، لذا يمكنني القول إن أغلب الرصاصات قد أصابته، لكنه لا يزال واقفًا؟! ليس هذا فقط بل لم يمس حتى. وهنا نظرت إلى وجهه، كل ما أستطيع قوله هو أنني لم أرَ بشرًا كهذا من قبل، بل لم أرَ شكلًا يشبه ذلك الشيء اللعين الذي يقف هناك أسفل الرواق المظلم، ملامحه كانت مبهمة وغامضة،

ليس كأحد الشياطين المألوفة أو حتى المتحولين الذين تراهم في الأفلام، لقد كان شيئًا لا يفترض لعين بشرية أن تراه وجهًا لوجه، ولا لعقل أن يستوعبه، إنه حتمًا لا ينتمي لهذا العالم أو حتى الوجود كله

الأعين كانت تتغير باستمرار، تتحول إن أمكن القول..؟!، الشفاة كانت ملتوية لتشكّل ابتسامة لا تتوقف عند الأذنين بل تمتد حول الرأس بأكمله، هذا كان أكثر شيء ملفت استطعت التقاطه من ملامحه، أما عن جلده فقد كان يتغير هو الآخر، تارة يبدو ناعمًا وتارة أخرى أرى ما يبدو آلاف من الديدان الصغيرة تزحف تحته، ذلك الشي نظر إليّ ثم انبثق صوته الأجش العميق لينفجر بضحكة يتردد صداها في جدران ذلك الرواق، حتى إنها جعلتني أنظر للخلف، فالصدى بدا كأنه يتغلغل ويتفجر من كل ما كان حولي، لم أقدر على التفكير، صوبت خرطوشتي مرة أخرى وأفرغت رأسه بثلاث رصاصات، لكن هذا المخلوق لم يبدِ أي ردة فعل، ولم يتزعزع، شرع فقط بقهقهة صاخبة، بدا لي أنه من الواضح أن هذا الكائن الغامض لن يسقط أرضًا في أي وقت قريب، انسحبت متراجعًا مغادرًا ذلك الرواق.

ذهني كان عبارة عن فوضى عارمة كدت أصاب بنوبة قلبية حينما استدرت ورأيت ذلك الشيء خلفي تمامًا يحدق بي بينما لا يزال يضحك، ذلك اللعاب سائل أسود خشن القوام يفرغه من فمه، بعض منه تطاير إلى يدي وجعل جلد يدي يتآكل، جفلت وكأنما سكرات الموت تداهمني، أطلقت النار مرة أخرى في وجهه، وهذه المرة أبدى ردة فعل، فلاحظت أن رصاصتي قد تمكنت من اختراق جلده، ولكن بشكل طفيف فقط، توقف عن الضحك وأطلق صرخة مرعبة تصم الآذان، كادت تفجر طبلة أذني، أمسكني من ساعدي وقذفني أمتارًا بعيدة لأسقط على كتفي بقوة، أظنه كاد يكسر، مع ذلك لم أكن بوضع يسمح لي بأخذ أنفاسي، شحنت خزان الخرطوش مجددًا وبسرعة أطلقت النار على صدر ذلك الكائن وهو يتقدم صوبي، لم أتمكن من التحرك لمسافة كافية تبعدني عنه، ليهاجمني مجددًا بضربة جعلتني أطير لعشر أقدام

بالهواء وأطرح أرضًا، هنا أحسست أن كاحلي قد خُلع من مكانه، فتشت جيبي فوجدت القنبلة اليدوية، كان هذا فعلًا هو الخيار الأخير المتبقي لي، وبمجرد ما وصلت يدي قمت ب سحب مشبك الأمان ولا زلت أستطيع سماع خطوات الكائن تتقدم نحوي، استدرت وقمت بقذفها نحوه، وبالكاد وجدت الوقت للاختباء من الانفجار، وراء أحد الأعمدة المنتصبة هناك، وصراحة لا أظن أن ذلك الصوت الذي صدر منه سيغادر ذهني يومًا، لم تكن صرخة فحسب، لم يكن مجرد زئير، ل قد كان الأمر وكأنما كل الهواء حولي ابتلع إلى داخل فم هذا الكائن فقط ليخرجه كصوت مشوّه وشنيع، خلق بالعالم السفلي، زحفت من وراء الأعمدة، لأجد الكائن يتعثر في خُطاه، لقد فقدَ ساقًا وبدلًا من العظام رأيت ذيلًا أسود لامعًا ملتصقًا يلتوي مكان الساق ال تي قطعت.

انتهزت الفرصة وأفرغت الرصاصات على الكائن، ويا إلهي.. رغم كل هذا لا يموت أبدًا، لقد كان مصابًا بشدة كأنه عاد من قعر الجحيم، لكنه لا يزال يتحرك، قمت وأنا أشعر بالوهن وألم جسيم يكسو جسدي، شاهدت ذلك الكائن الغريب يتسلق حائطًا ثم يدخل عبر نافذة الحمّام، تلك كانت آخر مرة أراه فيها، على إثر ذلك ودون تواضع جمعت أغراضي، وركبت سيارتي منطلقًا كالريح وأنا أرى بعض السيارات تقترب من المزرعة، كنت اعلم أنهم آتون بسبب صوت الانفجار.

لقد مرت الآن بضع ساعات من الحادثة وها أنا أجلس في بيتي في حالة ذهول مطلقة، لا أستوعب حقًا ما حدث.. ولا أريد التفكير في حقيقة هذا المخلوق حتى.. حاولت الاتصال بالرجل الذي كلفني بمهمة القتل، لكنه بالطبع لا يجيب على اتصالاتي.

شاشة التلفاز أمامي مضاءة ونشرة الأخبار تذاع الآن، رأيت شيئًا ملفتًا، كان تقريرًا بشأن جريمة قتل حدثت بمنزل عائلة "ريتشارد" والذي يقطن في إحدى المزارع، نفس المزرعة التي كنت بها منذ ساعات، ولكن الأكثر أهمية من ذلك هم الأشخاص المتوفون فقد..

عرضت صورة عائلة ريتشارد، رب الأسرة المتوفي هو من اتفق معي.. وهو ذلك الشخص الذي أعطاني عشرة آلاف دولار وهو أيضا المقتول برفقة زوجته وابنته، الفتاة!.. الفتاة نفسها التي قذفت أمام عيني وتهشمت عظامها.

أكملت المذيعة في نشر صورة شخص آخر وهي صورة ولده المفقود والذي يدعى "توماس"، فازدادت صاعقتي، هذه هي صورة الشخص الذي كان يريد قتله.. هل كان يريد قتل ولده؟.. هل هذا الرجل معتوه، تابعت التقرير والذي استشهد بشهادة السكان القريبين، والذين ادعوا أن "توماس" من قتل أسرته بالكامل، وبشهادتهم أنه كان مصابًا بمس شيطاني مما دفع أباه على حبسه في المزرعة بعد فشله في معالجته طيلة هذه السنوات.. أطفأت التلفاز وأنا مصعوق مما سمعت.. حتى سمعت شيئًا أميزه جيدًا، ضحكة تترد صداها في جدران حمام بيتي..

لقد أتى ليبحث عني..

*****

تمت